موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٤٣)

الغيرة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

دار رواح للنشر والتوزيع

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

٤٣

الغيرة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

دار الإيداع

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق تنباك
www.mtenback.com

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٢٢٨-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٣)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٢٢٨-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٤٣)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الغيرة لغةً	٧
الغيرة اصطلاحًا	٨
أنواع الغيرة	٩
الغيرة في الشعر العربي	٢٣
أوجه الغيرة	٤١
الغيرة على جميع أفراد الأسرة	٤١
الغيرة على الحبيبة	٨٢
الغيرة بين الأقران	٩٤
الفهارس	١٠١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

الغَيْرَة شعور طبيعي، ووسيلة دفاع يتخذها الفرد تجاه مواقف أو أشخاص.

وللغيرة أشكال ودرجات، يكون بعضها أمرًا طبيعيًا، فالغيره المعتدلة بين أفراد الأسرة ضرورية، وهي عنوان المحبة والإلفة بين أفرادها. فالأب يغار على أهل بيته من زوجة وبنات ومحارم، ويغار حتى على أبنائه الذكور، وهذا حق طبيعي لا ينكره عليه أحد، والزوجة تغار على زوجها محافظة عليه، وعلى وحدة أسرتها من أن تتشتت، وتغار وتحافظ على بناتها وأبنائها.

وهذه الغيرة نافعة لأنها تؤدي إلى حماية الأسرة، وتشعر الطرف الآخر بالاهتمام به، فتشيع عنده السعادة. ولكن هذه الغَيْرَة قد تصبح وبالاً مضرًّا بالأسرة إذا زادت عن حدها الطبيعي، وتجاوزته إلى الغَيْرَة المفرطة التي تسمم حياة صاحبها ومن حوله، وتدفعه إلى ارتكاب الأخطاء التي قد تضره وتضر أسرته ومجتمعه، وذلك بسبب الوهم الذي ينتابه، وتصعيده للأمور الصغيرة التي يراها. والتي قد لا تتعدى هفوة بسيطة لا تحتاج منه إلى أكثر من تنبيه. وقد تؤدي هذه الغَيْرَة إلى ما لا تحمد عقباه، لأن صاحبها لا يقدر الأضرار التي يرتكبها.

وفي حالات كثيرة تؤدي الغَيْرَة المفرطة إلى عداوة الأصدقاء، وانفصال الأزواج، وتشتت الأبناء، ولا تختلف الغَيْرَة عن الحسد، فغالبًا ما يغار الحسود بسبب نعمة حصل عليها غيره، ويريدها لنفسه.

ولذلك فإن الغَيْرَة يجب أن تكون معتدلة، وإلا فإنها مما يبغضه الله، وخاصة إذا حصلت في مواقف لا تستدعي الغَيْرَة أو أنها زادت على الحد الطبيعي المعقول.

والغَيْرَة لا تقتصر على أفراد الأسرة. فمن الغَيْرَة ما كان عصبيةً، ومنها ما كان على الحقائق والمصالح، أو قد تتوجه إلى الوقت وقيمته. وتؤدي هذه الأنواع من الغَيْرَة

www.mtenback.com

التي تخص الحياة العامة إذا كانت في حدود الاعتدال إلى التنافس، وتقديم الفرد أفضل ما لديه، فتساعد على رقي المجتمع وتطوره، وتؤدي إلى الحفاظ على ممتلكـــات الدولـــة ومصالحها. وهي ضرورية ولا غنى عنها، ولذلك فإنه يتوجب علينا أن نبثها في النفوس متى انعدمت أو ضعفت بالحد الذي لا يتجاوز الإفادة من هذا الشعور.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الغيرة لغة:

هي الحمية والأنفة، ويقال: غار الرجل على أهله، والمرأة على بعلها تغار غَيرةً أنفة وكرهًا من مشاركة غيرٍ في حقه بها، أو في حقها به، دون اختيار منهما[1]. ويقال: فلان لا يتغير على امرأته إذا كان لا يغار عليها[2].

والغَيْرَة مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص[3]، ولذلك فإن الرجل حين يغار على أهله يفتخر بغَيْرَته ويظهرها في الناس.

والغَيْرَة خلق كريم فيه معنى الحماية والخصوصية الذاتية وهي من الغرائز البشرية التي أودعها الله في الإنسان، ولابد منها لصيانة العرض والشرف، وتظهر بقوة حين يشعر الرجل بأن شرفه ينثلم وعرضه يهان[4]. أو تشعر بالمنافسة والتحدي من غيرها على زوجها وهذا معناها الخاص.

---

(1) المعجم الوسيط: أخرجه إبراهيم أنيس وزملاؤه، طبع مجمع اللغة العربية، ط٢ (١٩٧٣م)، ج٢، ص٦٦٨.

(2) الأنصاري، أبو زيد سعيد بن أوس: النوادر في اللغة،صححه: سعيد الخوري الشرتوني، بيروت، دار الكتاب العربي (د.ت) ص٩٣.

(3) الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح، أوتاج اللغة العربية وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، (١٩٧٩م) ج٢، ص٢١٥، مادة غير؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب (١٩٧٠م) ص١٠٣٦ مادة غير؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة (د.ت) ج٥، ص٣٢٠؛ الشرباصي، أحمد: موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، ط١، (١٩٨١م)، ط٦، ص١٢٨.

(4) عفيفي، عبدالله: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، القاهرة المكتبة التجارية الكبرى، (د.ت) ج٢، ص٢٤.

www.mtenback.com

الغيرة اصطلاحًا:

والغَيْرَة من الناحية العلمية هي شعور الإنسان بالألم حين يرى الحرمات تنتهك[٥]، أو يرى جهل الناس وعدم اهتمامهم بالمصالح، فيندفع إلى إيضاح وجه الحقيقة والمصلحة، ويعمل على كف يد من يبغي عليها غَيْرَة [٦].

والغَيْرَة سجية أولية في الإنسان يبدي الطفل مظاهر قوية منها قبل أن يتم السنة الأولى من حياته. وليست الغَيْرَة شرًا كلها، فالغَيْرَة المعتدلة تدفع إلى المنافسة، والعصر الحديث بما فيه من وسائل المواصلات العصرية، وربط أنحاء العالم بعضها ببعض، تجعل الإنسان على معرفة واطلاع بمختلف ألوان النشاط في الحياة الإنسانية، مما يوقد جذوة المنافسة والغَيْرَة عنده[٧].

ولقد كان العرب في جاهليتهم أصحاب غيرة شديدة تجاوزوا بها طورها ومدحوا بها، وفخروا بشدتها على المحارم، وعرف منهم الغُيُر الذين كانت لغَيْرَتهم قصص أشبه بالخيال [٨]. وقادت هذه الغَيْرَة بعضهم إلى قذف زوجته في عرضها لهاجس اعتاده، أو خلجة من الشك نفذت إليه، فرفعوا خصومتهم، واحتكموا في أعراضهم إلى فريق من الكهان، وهم بشر، يقذفون الغيب برجم الظنون، فيخطئون ويصيبون. ولشدة غَيْرَة العربي على نسائه، فإنه كان يحتمل كل شيء حتى يأتي ذكر حرمه، فيمتعض ولا يحتمل ذلك. ولذلك كان من أمثالهم: «كل شيء مهه ما خلا النساء وذكرهن»[٩].

---

[٥] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٩،ص٣٢٠.

[٦] حسين، محمد الخضر: الغيرة على الحقائق والمصالح، مجلة نور الإسلام، العدد السابع، ج١، رجب (١٣٤٩هـ) ص٢٤.

[٧] ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان: الغيور والصبور (د.م.ط.ت)ج ٩، ص ٣٢٠.

[٨] جاد المولى، محمد أحمد: الخلق الكامل، بيروت، مؤسسة الرسالة ودار قتيبية (د.ت) ج١، ص٤٥٦.

[٩] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل، (د. ت) ج٢، ص١٣٢؛ ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٤٧. ومهه: يسير محتمل

www.mtenback.com

والغيرة ليست على النساء فحسب بل إن الغيرة تتجاوز ذلك إلى قيم المرء وحياته ومعتقداته وما يؤمن به فيغار على كل ذلك ويحافظ عليه ويدافع عنه وهنا يكون مصطلح الغيرة واسعًا يشمل حياة الإنسان كلها.

أنواع الغيرة:

يمكن أن تكون الغيرة على مستويات: مفرطة ومعتدلة.

فأعلى مستوياتها الغَيْرَة المفرطة، وهي التي يبالغ فيها صاحبها فيتجاوز الحد المعقول والمفيد، وتغلب عليه حتى تكدر عليه عيشه. وقد يفضي به هذا الإفراط إلى أن يرمي بالسوء عرضه، قال رسول الله ﷺ: «إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل، وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة» [١٠]. فالإسلام يبغض الغَيْرَةَ المفرطة إلا أن تكون عن علم وبينة، فأما الريبة، والاحتكام إلى الشبهات، فذلك ليس من الدين في شيء.

وقد فرض الله تعالى على من رمى امرأته في عرضها أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما قال وادعى. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ومن لم يصدع بتلك الشهادات الخمس فعقوبته عقوبة قاذف المحصنات، بأن يجلد ثمانين جلدة، ولا تقبل له شهادة أبدًا، وهوعند الله من الفاسقين. وكذلك كان على المرأة أن تفعل إذا رمت زوجها. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ،وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[١١]، وذلك خشية أن يكون رماها، غَيْرَة منه عليها.

---

[١٠] ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة الحلبي (د.ت) باب النكاح، حديث رقم (١٩٨٦)؛ جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، ص١٩٠.

[١١] سورة النور: ٦-٧.

www.mtenback.com

وتدفع الغيرة المفرطة صاحبها إلى أن يعمل على كتم أنفاس أحب الناس إليه، فلا يريد أن تعيش زوجته وبناته حياة طبيعية، فلا يضحكن ولا يمرحن، فهذا عقيل بن علفة [١٢] أحد شعراء العرب سمع إحدى بناته تضحك بصوت مرتفع، فشهقت في آخر ضحكتها، فانتضى السيف وحمل عليها وهو يقول[١٣]:

فَرِقْتُ إِنِّي رَجُلٌ فَرُوقُ ... لِضِحْكَةٍ آخِرُهَا شَهِيقُ

ولشدة الغيرة شك العرب في ولاء المرأة وصدق حبها، واتهموها بتحول الحب، وقد وصف حجر بن عمرو ذلك بقوله[١٤]:

كُلُّ أُنْثَى وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا ... آيَةُ الوُدِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورُ

إِنَّ مَنْ غَرَّهُ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ ... بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُورُ

ومما لا شك فيه أن الغَيْرَة المفرطة تضر بالرجل نفسه، وبأهل بيته لذلك فإن بعضهم حذر منها، ومن هؤلاء طفيل الغنوي الذي حذر الرجال من الغَيْرة المفرطة التي قد تدفع بعض النساء إلى فعل ما يمنعن عنه، وشبه النساء بالأشجار التي تنبت معًا، فيكون منها المّر، ومنها المأكول، وأنهن إذا نهين عن خلق، رغبن في تجريبه، فقال[١٥]:

---

[١٢] هو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ذبيان. ويكنى أبا العملس، وأبا الجرباء، من الشعراء المخضرمين. شاعر مقل مجيد. كان جافيًا، شديد الهوج والعجرفة والكبر بنسبه إلى بني مرة. ولا يرى أن له كفئًا. انظر عنه: الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (د.ت) ج١٢، ص٢٥٤.

[١٣] ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد: العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، بيروت، دار الفكر (د.ت) ج٢، ص٥٣.

[١٤] جاد المولى، محمد أحمد: أيام العرب في الجاهلية، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي (د.ت) ص٤٢ــ٤٥.

[١٥] طفيل الغنوي: ديوان طفيل الغنوي، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد، دار الكتاب الجديد، ط١، (١٩٦٨م) ص٣٠.

www.mtenback.com

إِنَّ النِّســاءَ كَأَشْــجارٍ نَبَتْــنَ مَعًــا ... مِنْهَا المُرارُ وَبَعْضُ النَّبْــتِ مَــأْكُولُ
إِنَّ النِّساءَ مَتى يُنْهَيْــنَ عَــنْ خُلُــقٍ ... فَإِنَّــهُ واجِــبٌ لابُــدَّ مَفْعــولُ
لا يَنْصَرِفْنَ لِرُشْــدٍ إِنْ دُعِــينَ لَــهُ ... وَهُــنَّ بَعْــدُ مَلائِيــمٌ مَخــاذِيلُ

فالمرأة إن أبعدت عن كل سوء في حال حضور الرجل الغَيور عندها، فإنه لــن يتمكن من حمايتها في غيابه،إلا إذا حصنها بالأخلاق الحميدة، وإذا لم تحصن بها، فــإن أقل غياب له عن منزله – ولو كان يومًا أو بعض اليوم – سيكون مجالاً للتنفيس عــن رغبة كان حضور الرجل قد أطبق عليها، وترى الفرصة سانحة لفعل ما تريد في غيــاب الحارس الغيور. ولذلك فإن غيرة الزوج الشديدة، ورصده تحركات زوجه أو قريبتــه وسكناتها لن يكون له كبير أثر، لأنه لن يدوم ولن يستمر. وقد وضح مسكين الدارمي ذلك، وطبقه على أهل بيته فقال[١٦]:

وَإِنّي امْرُؤٌ لا آلَفُ البَيْــتَ قــاعِدًا ... إِلى جَنْبِ عِرْسِي لا أُفارِقُها شِــبْرا
وَلا مُقْسِمٌ لاتــبْرَحُ الدَّهْــرَ بَيْتَهــا ... لأَجْعَلَهُ قَبْــلَ المَمــاتِ لَهــا قَــبْرَا
إِذا هِيَ لَمْ تُحْصَــنْ أَمــامَ فِنائِهــا ... فَلَيْسَ يُنَجِّيهــا بِنَــائِي لَهــا قَصْــرَا
وَلا حــامِلٌ ظَنّــي وَلاقَــالَ قــائِلٌ ... عَلى غَــيْرَةٍ حَتَّى أُحِيْطَ بِــهِ خُــبْرَا
وَهَبْنِي امْرأً راعَيْتُ مادُمْتُ شــاهِدًا ... فَكَيْفَ إِذا ما غِبْتُ عَنْ بَيْتِها شَهــرَا

وقال أحد الشعراء قولاً يشبه قول مسكين الدارمي في أنه لن يراقــب زوجتــه غَيْرَة، وعليها يقع عبء المحافظة على نفسها أو تضييعها[١٧]:

---

[١٦] مسكين الدارمي: ديوان مسكين الدارمي، ص٤٧–٤٨؛ المرتضي: أمالي المرتضى، ج١، ص٤٧٦؛ ابن تنباك: الغيور والصبور،ص ٦٦.

[١٧] ابن قتيبة: الأخبار، ج٤، ص٧٩.

www.mtenback.com

وَإِنِّـي لأُخْلِـي لِلْفَتَـاةِ خِباءَهَـا كَثِيرًا فَتَرْعَى نَفْسَـها أَوْ تُضِيعُهـا
وَإِنِّي لَعَـفٌّ عَـنْ مَطـاعِمَ جَمَّـةٍ إِذا زَيَّنَ الفَحْشاءَ لِلنَّفْـسِ جُوعُهـا

وقد وضح مسكين الدارمي ما يفعله إذا ما حدث شيء لا يرضاه، فقال[18]:

إِذا مـا خَلِيـلٌ خـانَنِي وَائْتَمَنْتُـهُ فَـذَاكَ وَداعِيـهِ وَذَاكَ وَداعُهـا
رَدَدْتُ عَلَيْـهِ وُدَّهُ وَتَرَكْتُـها مُطَلَّقَـةً لا يُسْـتَطاعُ رِجاعُهـا

وخير من أن يصار إلى ذلك الحال وأكثر حصانة للمرأة أن يبني الرجل علاقته بأهل بيته من النساء على الاحترام والثقة، فيكون للزوجة الحرية والخيار، ويجعل المحافظة على نفسها نابعة من ذاتها، بعد تحصينها بالخلق القويم، ووضعها في الجو الصالح. وبذلك تسلك المسلك الذي ترضاه في حال حضور زوجها أو غيابه[19].

وليست حماية المرأة متمثلة في عزلها وإغلاق الأبواب عليها، بل على أهلها وزوجها أن يعملا على غرس عزة النفس عندها، وتعويدها على صيانة شرفها، والدفاع عن نفسها، وألا تمنع بعدها من الخروج لحاجتها، كما لا ينبغي أن توضع الحواجز في طريقها، لأن خروجها لقضاء أعمالها، وأداء واجباتها الاجتماعية لا يعني فسادها، بل هو ضرورة من ضرورات الحياة التي تفرض عليها الاتصال بالناس في مناسبات كثيرة، وهذا نابع من الفطرة البشرية، ولن تقف الغَيْرَة في طريق الحياة الطبيعية، قال مسكين الدارمي[20]:

تَغَـارُ عَلَـى النَّـاسِ أَنْ يَنظُـرُوا وَهَـلْ يَفْتِـنُ الصَّالِحَـاتِ النَظَـرْ

---

[18] مسكين الدارمي: ديوان مسكين الدارمي، ص ٥٢.

[19] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ٦٣.

[20] مسكين الدارمي: ديوان مسكين الدارمي، ص ٤١.

www.mtenback.com

ومن الأمور التي تجعل الغَيْرَة الشديدة غير محمدية، أن الرجل لن يتمكن من لزوم بيته يحرسه ليلاً ونهارًا، فمن أين يأتي بالأمين الذي يكلفه بمهمة الحراسة في غيابه إذا اضطر للسفر؟ والحارس الوحيد الذي يحمي المرأة هو شعورها بكرامتها، وتنمية غَيْرَتها الذاتية على شرفها. ومكانتها إذا خلا البيت ممن يحميه[٢١]. قال الشاعر الشنفرى في هذا المعنى[٢٢]:

إِذَا أَصْبَحْتُ بَيْنَ جِبَالِ قَوٍّ ... وَبَيْضَانِ القُرَى لَمْ تَحْذَرِينِي

فَإِمَّا أَنْ تَوَدِّينَا فَتَرْعَي ... أَمَانَتَكُمْ وَإِمَّا أَنْ تَخُونِي

سَأُخْلِي لِلظَّعِينَةِ مَا أَرَادَتْ ... وَلَسْتُ بِحَارِسٍ لَكِ كُلَّ حِينِ

إِذَا مَا جِئْتِ مَا أَنْهَاكِ عَنْهُ ... فَلَمْ أُنْكِرْ عَلَيْكِ فَطَلِّقِينِي

فَأَنْتِ البَعْلُ يَوْمَئِذٍ فَقُومِي ... بِسَوْطِكِ لا أَبَا لَكِ فَاضْرِبِينِي

ولم تقتصر الغَيْرة المفرطة على العصر الجاهلي، بل استمرت في العصور التي تلته، على الرغم من أن الإسلام حاول أن يحد من الإفراط في الغَيْرَة، وأن يجعلها في حدود المعقول، وألا تبنى على الريبة، وألا يتصرف الغيور تصرف من فقد عقله. وهي ما زالت موجودة حتى عصرنا، وهناك قصص واقعية أليمة كان سببها الإفراط في الغَيْرَة. ومن هذه القصص: أن زوجين لكل منهما مميزاته الحسنة، ويتمتعان بالشباب والحيوية والجمال، وقد رزقهما الله طفلين من أجمل وأحسن ما خلق الله، ومع ذلك فإن زواجهما انتهى بالطلاق دون أن يعمر طويلاً، مما فاجأ الأهل والأصدقاء، وأظهرت الحقائق التي أخفاها الزوجان طوال أعوام زواجهما، أن الزوجة تغار على

---

[٢١] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٦٥.

[٢٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٤، ص٧٩؛ ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٦٥ نقلاً عن ديوان الشنقرى ضمن مجموعة الطرائف الأدبية، ص٤١.

www.mtenback.com

زوجها غَيْرَة مفرطة، وتكره أن يخرج مع أصدقائه، حتى أصبح الجميع يعتقدون أنه لا يريد مصادقتهم، وإذا صدف وذهب إلى أحدهم، فإنها تلاحقه بالاتصال مظهرة أنها تريد الاطمئنان عليه، وتطلبه صباحًا هاتفيًا في عمله، متعللة بطلب بعض الأغراض، وحقيقة الأمر أنها تريد التأكد من وجوده في المكتب. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إنها كانت تغار عليه من والدته وشقيقاته، وتخاف أن ينظر إلى غيرها، وتظن به السوء دومًا، وترفض الاعتراف بذلك، بل إنها تنكر أنها تغار عليه. وتسببت غَيْرَتها المفرطة على زوجها في عدة مشكلات، وحاول الأهل إصلاح ذات البين، ولكن الحديث مع الزوجة لم يجد، وفشلت محاولات التوفيق، مما أدى في نهاية الأمر إلى الانفصال[٢٣].

وقصة أخرى صاحبتها فتاة جميلة لديها شعور بالنقص وغيرةٌ مفرطة من كل من حولها، وقد تشعر بالغَيْرَة من فتاة أقل منها جمالاً، أو أقل حظًا ومالاً. وتدفعها غَيْرَتها إلى أن تتكلم على الناس بالسّوء. خطبها شاب صالح وناجح في حياته، ووضعه المالي جيد، إلا أنها كانت دائمة الخلاف معه بسبب غَيْرَتها، مما أدى إلى عدم إتمام الزواج[٢٤].

وفتاة أخرى كانت تعمل في وظيفة جيدة، وهي موظفة ناجحة متميزة قديرة، تقوم بعملها على أكمل وجه، فوجئت بقرار فصلها من عملها، وهو ما دبرته لها زميلتها في العمل، التي كانت تكيد لها بسبب غَيْرَتها المفرطة من نجاحها، وتقدير الجميع لها. ونجحت الصديقة الغيور بعد فترة من الزمن في مسعاها، وتمكنت من إبعاد زميلتها الموظفة الناجحة عن عملها[٢٥].

---

[٢٣] إبراهيم، أروى: أطفئي نيران الغَيْرَة، مجلة الجميلة (مجلة المرأة العربية) العدد ١١٨/١٧ مايو أيار (١٩٩٩م) ص٤٧.

[٢٤] إبراهيم، أروى: أطفئي نيران الغيرة، ص٤٧.

[٢٥] إبراهيم أروى: أطفئي نيران الغيرة، ص ٤٧

www.mtenback.com

وليست المرأة وحدها التي يمكن أن تؤدي بغيرتها المفرطة إلى هدم دار الزوجية، وإلى الضرر بنفسها وبالآخرين، بل الرجال أيضًا يفعلون ذلك. فأحد الأزواج كان يغار على زوجته غَيْرَة مفرطة، وكانت تتحمله مع أنها لا تستطيع تفسير تصرفاته التي كانت الغَيْرَة سببها، وهي تصرفات جعلت حياتهما جحيمًا لا يطاق، فحطمت غيرته الغبية حياتهما الزوجية.

ومن أشد أنواع الغيرة الخاطئة، الغيرة المذهبية التي تبنى في أساسها على اعتقاد مذهبي أو رأي شخصي، فيتعصب صاحب المذهب لمذهبه، وصاحب الرأي لرأيه، ويبالغ في ذلك حتى يفسد ما بين الناس من وفاق وحب، وتحل محله البغضاء والعداوة.

ويؤدي هذا النوع من الغَيْرَة إلى انقسام المجتمع إلى فئات متناحرة، قد تودي بالمجتمع إلى الفساد، وبالوطن إلى الضياع. وقد وردت في المصادر التاريخية والأدبية قصص كثيرة عن المتعصبين والغيورين المفرطين في الغَيْرَة لمذهبهم، أدت إلى ضياع العدالة، وإلى استغلال الغَيْرَة المذهبية لتحقيق المكاسب الشخصية والدنيوية.

وقد يكون الذي يؤجج العصبية المذهبية محترفًا لا يؤمن بما يقول، ولكنه يسوق بضاعته لفائدة نفسه أوكسب جاه أو مال، وقد ذكر لنا التاريخ قصة طريفة من هذا النوع، وهو أن متسولين عرفا كيف يصاد الناس في مقتل العصبية المذهبية، فأظهر كل واحد منهما ولاءه لمذهب من المذاهب، وأظهر الآخر الإنكار عليه وولاءه للمذهب المعارض، واشتد بينهما الخصام في الظاهر، وبدأ كل واحد منهما يستعين بالعامة الذين يرونه يدافع عن مذهبهم، فيدفعون له المال بسخاء، وإذا انصرفا في الليل اقتسما ماجمعا من العامة وهما في أسعد حال وغبطة من غباء العامة وجهلهم.

وقد بدت الغَيْرَة مفرطة لا اعتدال فيها في شعر عدد من الشعراء، أمثال سُراقة البارقي، ومزرد بن ضرار، وتوبة بن الحُمَيِّر، وعبد الله بن الزبير، والقتال الكلابي، ويزيد بن مفرغ الحميري، وعقيل بن علفة وغيرهم[٢٦]. ومدح الشعراء شديدي الغيرة

[٢٦] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ٥٨.

www.mtenback.com

من العرب مثل بشار بن برد، الذي قال في يزيد بن حاتم المهلبي واصفًا إياه بشدة الغيرة[٢٧]:

وَعامرٌ أَنْتَ لَهُ المَعْمُورُ
تَمَّتْ لَكَ البُطونُ وَالظُّهُورُ
كَالبُرْدِ لَمَّا تَمَّ فِيهِ النِّيرُ
آباؤُكَ الصِّيدُ الحُمَاةُ الغِيرُ

وقد أدرك الخليفة الأموي معاوية شطط الناس في زمانه بالغَيْرَة غير المحمودة والمبالغة فيها، فقال كلمته المشهورة: ثلاث خصال من السؤدد، وذكر منها عدم الشطط في الغَيْرَة. وما كان ذلك من معاوية إلا محاولة لردع الناس عن الاستمرار في المبالغة فيها[٢٨]. وطبق ذلك على نفسه حين بلغه أن عبد الرحمن بن حسان شبب بأخته، وغضب لذلك ابنه يزيد، وقال لأبيه معاوية: اقتل عبد الرحمن بن حسان، لأنه شبب بعمتي، فسأله معاوية عما قاله فيها، فقال:

طَالَ لَيْلِي وَبِتُّ كَالمَحْزُونِ ... وَمَلَلْتُ الثَّوَاءَ فِي جَيْرُونِ

فقال معاوية: وما علينا يا بني، من طول ليله وحزنه. ولكن يزيد: تابع يقول لأبيه: إنه قال:

وَلِذاكَ اغْتَرَبْتُ بِالشَّامِ حَتَّى ... ظَنَّ أَهْلِي مُرَجَّمَاتِ الظُّنُونِ

فقال معاوية: وما علينا من ظن أهله؟ قال يزيد: إنه يقول:

هِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الغَو ... واصِ حِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

---

[٢٧] بشار بن برد العقيلي: ديوان بشار بن برد، تصحيح محمد طاهر بن عاشور، تعليق: محمد رفعت فتح الله وزميليه، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر (١٩٦٧م) ج ٣، ص١٩٠.

[٢٨] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٥٦. نقلاً عن البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص ١٨.

www.mtenback.com

قال معاوية: صدق يا بني إنها لمن جوهر مكنون. فقال يزيد إنه يقول:

وَإِذا مـا نَسَـبْتَها لَـمْ تَجِدْهـا ... فِـي سَـناءٍ مِـنَ المَكَـارِمِ دُونِ

قال معاوية: وهي بحمد الله كذلك. قال إنه يقول:

ثُمَّ خَاصَرْتُها إِلى القُبَّـةِ الخَضْـراءِ ... تَمْشِـي فِـي مَرْمَـرٍ مَسْـنُونِ

قال: لا ولا كل هذا، وتابعا حديثهما. ثم أنهى معاوية الحديث مع ابنه يزيد موضحًا التجاوز عن الغَيْرَة الشديدة، وذاكرًا لابنه عدم وجوب القتل في مثل هذه الأقوال، كما علمه بأن العقوبة دون القتل قد لا تؤثر في عبد الرحمن، بل تغريه إلى قول المزيد. ورأى أن يكفه عن ذلك بالتجاوز والصلة، فوصلة وصرفه[٢٩].

وربما كان تصرف معاوية هذا بسبب أن الغَيْرَة المفرطة والشطط فيها بلغا في زمانه مبلغًا مضرًا بعلائق الناس حتى طارد الولاة الشعراء غَيْرَة من شعرهم، وأهدروا دم الشاعر إذا تعرض لما لا يجوز التعرض له غيرة وحمية على العرض من ألسنتهم. وقد وصف جميل بن معمر ذلك بقوله[٣٠]:

أَتانِيَ عَـنْ مَـرْوانَ بِـالغَيْبِ أَنَّـهُ ... مُقِيدُ دَمِي أَوْ قَـاطِعٌ مِـنْ لِسـانِيا

فَفِي العِيسِ مَنْجاةٌ وَفِي الأَرْضِ مَذْهَبٌ ... إِذا نَحْـنَ رَفَّعْنَـا لَهُـنَّ المَثانِيـا

ومهما فعل الغَيور، وحاول تحصين المرأة وحمايتها بغَيْرَته، فإن ذلك لن يجدي شيئًا، لأنها إن أرادت الفجور فلن تمنعها الموانع، ولن تعدم الفرصة لبلوغ مرامها. وقد وصف بشار بن برد ذلك بقوله[٣١]:

إِنْ يَكُ أَمْسـى الغَيُـورُ حَصَّنَهـا ... وَغَيَّرَتْهـا الشُّـهورُ وَالحِجَـجُ

---

[٢٩] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٧٢. نقلاً عن أنساب الأشراف.

[٣٠] جميل بثينة، جميل بن معمر: ديوان جميل بثينة، شرحه: أشرف أحمد عدرة، بيروت، عالم الكتب، ط١ (١٩٩٦م) ص٢٢٣.

[٣١] بشار بن برد: ديوان بشار بن برد، ج٢، ص٧١.

www.mtenback.com

فَقَدْ هَوَنْا فِـــي ظِـــلِّ غَـــيْرَتِه وَالدَّهْـــرُ فِيـــهِ القَـــوامُ وَالعِـــوَجُ
وَلَـــوْ تَرانـــا مَـــعَ الجَـــلاءِ إِذنْ بَـــدا لِعَيْنَيْـــكَ مَنْظَـــرٌ بَهِـــــجُ

وهذا يدل على أن الغَيْرَة المفرطة غير محمدية؛ لأن المرأة التي لم تحصن بالأخلاق الحسنة، و لم يكن من نفسها مانع إلاغَيْرَة الغَيور، تنتظر الفرصة السانحة التي يبتعد فيهـــا الغيور الرقيب، وتغافله وتخدعه، فتفعل ما تشاء. قال بشار بن برد يصف ذلك[٣٢]:

حَتَّـــى إِذا مـــا عَـــدَدْتُ ســـابِعَةً وَزِدْتُ سَبْعًا فَضْـــلاً عَلَـــى العَـــدَدِ
قَـــالَتْ: بِعَيْنِـــي عَيْـــنُ مُوْكَلَـــةٍ وَالأُسْدُ حَـــوْلِي فَكَيْـــفَ بِالأَسَـــدِ
مـــازِلْتُ أَغْـــتَرُّهُ وَأَخْتِلُـــــهُ حَتَّى الْتَقَيْنـــا يَوْمًـــا وَلَـــمْ نَكَـــدِ

و لم يكن بشار في هذا الموقف فريدًا فقد سبقه شعراء منهم ذو الرمة الذي وضح أن من لاخلاق لهن ينتظرن الفرصة السانحة التي تشغل الغَيور عنهن، سواء كان الزوج، أو الأب، أو الأخ، فيظهرن الذي استودع في داخل قلوبهن مثل طعن الرمح النـــافذ، فقال[٣٣]:

إِذا غابَ عَنْهُـــنَّ الغُيُـــورانِ تـــارَةً وَعَنَّا وَأَيَّـــامُ النُّحُـــوسِ الأَشائِـــمِ
أَرَيْنَ الَّذِي اسْتَوْدَعْنَ سَـــوْداءَ قَلْبِـــهِ هَوىً مِثْلَ شَكِّ الأَزَّانِـــي النَّواجِـــمِ

وهذا امرؤ القيس يصف وصوله إلى قلب حبيبته على الرغم من غَيْرَة زوجهـــا، فقد روضها ولينها بالكلام كما يراض البعير بالسير حتى يذل. ووصل إلى ما يريـــد، وبعلها الغَيور كاسف الحال، فقال[٣٤]:

---

[٣٢] بشار بن برد: ديوان بشار بن برد، ج٢، ص ١٨١-١٨٢.

[٣٣] ذو الرمة، غيلان بن عقبة: ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، بيروت، مؤسسة الإيمـــان، ط٢، (١٩٨٢م) ج٢، ص٧٥٥. والرمح الأزني أو اليزني: هو الرمح المنسوب إلى سيف بن ذي يزن.

[٣٤] امرؤ القيس بن حجر: ديوان امرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القـــاهرة، دار المعـــارف (١٩٦٤م)، ص٣٢-٣٣.

www.mtenback.com

وَصِرْنا إِلى الحُسْنَى وَرَقَّ كَلاَمُنا ... وَرِضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالِ
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُها ... عَلَيْه القَتَامُ سيِّءَ الظَّنِّ وَالبالِ
يَغِطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ ... لِيَقْتُلَنِي وَالمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالِ

ونختم القول عن الغَيْرَة المفرطة بأنها تهدم للأسرة والمجتمع بشكل عام. وما على من كانت غَيْرَتهم مفرطة، إلا أن يخففوا من غلوائها، وأن يعملوا بقول الشاعر منصور الفقيه الذي يقول[٣٥]:

خُذْ مِنْ زَمانِكَ ما صَفا ... وَدَعِ الَّذي فِيهِ الكَدَرْ
فَالعُمْرُ أَقصَرُ مِن مُعا ... تَبَةِ الزَّمانِ على الغَيَرْ

أما الغَيْرَة المعتدلة، فهي الوقوف عند القصد، واستعمالها في حدود المروءة والحكمة. وهذا الذي يحبه الله، وهو الغَيْرَة التي لا تبنى على الريبة، ولا تحمل على الشك[٣٦]، ولا تكون بغير سبب. وكان الرسل يغارون مثل هذه الغَيْرَة، وكذلك الصحابة، لأنها تساعد على حماية الشرف. وقد صدق الإمام علي رضي الله عنه بقوله: «لا تكثر الغَيْرَة على أهلك، فترمى بالسوء من أجلك» [٣٧].

والغَيْرَة المعتدلة تحكمها العلاقات والظروف الاجتماعية السائدة في المجتمع، وتمكن صاحبها من أن يتبين وجه الصواب قبل اتخاذ أي إجراء، على حين أن الغَيْرَة المفرطة وهم كبير في ذهن صاحبها، تعمي بصره وقلبه الذي في صدره حتى تجعله غير

---

[٣٥] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٢٦١.

[٣٦] أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف (١٩٧٢م) باقي مسند الأنصار، حديث ٢٢٦٣٤، ٢٢٦٣٠، ٢٢٦٣٢؛ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن: سنن الدارمي، باب النكاح، حديث رقم ٢١٢٩.

[٣٧] جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، ص١٩٠.

www.mtenback.com

قادر على التمييز بين الحق والباطل. ومع ذلك فهي لا تضمن لمن يغار عليهم الحماية الكافية.

وقد أمعن مسكين الدارمي النظر في ظاهرة الغَيْرَة، ووصل إلى قناعة بعدم جدوى الشطط فيها، وأظهر ضرورة الاعتدال قائلاً[٣٨]:

أَلا أَيُّها الغائِرُ المُسْتَشيطُ ... فِيمَ تَغارُ إِذا لَمْ تُغَرْ

فَما خَيْرُ عِرْسٍ إِذا خِفْتَها ... وَما خَيْرُ بَيْتٍ إِذا لَمْ يُزَرْ

وبيّن أن الغَيْرَة يجب أن تكون في حينها، وأن الغَيْرَة الدائمة قبيحة ومزعجة. وإذا كان الزوج يعمد إلى الغَيْرَة على زوجته دائمًا، ويتهمها، فإنه يتسبب دون قصد منه في إغرائها بما يخشاه، ويعرضها للاتهام من قبل أفراد مجتمعها، والأفضل له أن يكون قدوة حسنة لها. فإذا ساء خلقه، فإنها قد تسلك طريقه، وتفسد أخلاقها. فقال موضحًا ذلك[٣٩]:

ما أَحْسَنَ الغَيْرَةَ في حِيْنِها ... وَأَقْبَحَ الغَيْرَةَ في كُلِّ حِيْنْ

مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتَّهِمًا عِرْسَهُ ... مُناصِبًا فِيهَا لِوَهْمِ الظُّنُونْ

يُوشِكُ أَنْ يُغْرِيَها بِالَّذي ... يَخافُ، أَوْ يَنْصِبَها لِلْعُيُونْ

لا تَظْهَرَنْ مِنْكَ عَلى عَوْرَةٍ ... فَيَتْبَعُ المَقْرُونُ حَبْلَ القَرِينْ

حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِها ضَمُّها ... مِنْكَ إِلى خُلْقٍ كَرِيمٍ وَدِينْ

---

[٣٨] مسكين الدارمي، ربيعة بن عامر: ديوان مسكين الدارمي، جمعه وحققه عبد الله الجبوري وزميله، بغداد، نقابة المعلمين المركزية، (١٩٧٠م) ص٤٠.

[٣٩] مسكين الدارمي: ديوان مسكين الدارمي، ص٦٧، ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، شرح وتعليق: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ج٤، ص٧٨.

www.mtenback.com

ويرى مسكين الدارمي، أن الغَيْرَة يجب أن تكون في حدود الاعتدال، وأن على الرجل ألا يسرف في الغَيْرَة إلى حد الشك، ولا يجعل من نفسه رجلاً موسوسًا مخافة أن يكون لتطرفه في الغَيْرَة ومبالغته فيها آثار عكسية في سلوك المرأة لكثرة سماعها لكلمات التحذير والتهديد والتهجم، التي قد توحي لها بعدم الثقة في سلوكها مما تعده خدشًا لكرامتها وانتقاصًا لشخصيتها[٤٠]، وقد يؤدي إلى زعزعة الثقة في نفسها، فتستهوى وتميل إلى ما نهيت عنه، ويكون الرجل بذلك قد أغراها بما لم يكن من طباعها، كما يجب أن يحذر الغيور من أن تطلع المرأة منه على ريبة، فإنها في هذه الحال قد تتبعه في غيه، ويحصل ما يحاول إبعادها عنه مجاراة له واقتداء به، أو انتقامًا منه.

ويوضح مسكين الدارمي أنه لن يجعل على زوجته رقابة، وعليها أن تحافظ على نفسها محافظة ذاتية، فإن لم تفعل، فإنها زوجة غير صالحة، ولن يشتري حبها بالسوط، لأنه لن يستيطيع إنسان مهما فعل أن يراقب زوجته دائمًا وأبدًا. فإن راقبها في حضوره، فماذا يفعل إذا اضطر إلى السفر؟ وهل يقطّع نفسه ويقتلها إن وجد زائرًا عندها؟ فإن لم يكن يملك ذلك، فما عليه إلا أن يجعل غَيْرَته في حدود المعقول، وإن خرجت عن طاعته فله معها شأن آخر. وقد عبر عن ذلك شعرًا بقوله[٤١]:

وَإِنِّي سَأُخْلِي لَهَا بَيْتَهَا ... فَتَحْفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرْ

إِنِ اللهُ لَمْ يُعْطِنِي حُبَّهَا ... فَلَنْ يُعْطِيَ الحُبَّ سَوْطٌ مُمَرْ

فَمَنْ ذَا يُرَاعِي لَهُ عِرْسَهُ ... إِذا ضَرَّهُ والمَطِيُّ السَّفَرْ

يَكَادُ يُقَطِّعُ أَضْلاَعَهُ ... إِذا مَا رَأَى زَائِرًا أَوْ نَفَرْ

---

[٤٠] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٦٢.

[٤١] مسكين الدارمي: ديوان مسكين الدارمي، ص٤١.

www.mtenback.com

وقد كان الشاعر قيس بن زهير معتدلاً في غَيْرَته. ولا يغار إلا إذا ارتاب ورأى. وقد وضح ذلك حين اجتاز بالنمر بن قاسط، وجاورهم، وطلب منهم أن يزوجوه امرأة حدد الصفات التي يرغب أن تتصف بها قائلاً: «فزوجوني امرأة قد أدبها الغنى، وأذلها الفقر في حسب وجمال». ووصف نفسه قائلاً: إن فيَّ خلالاً ثلاثًا: إني غيور، وإني فخور، وإني أنف، ولست أغار حتى أرى، ولا أفخر حتى أبدأ، ولا آنف حتى أظلم[٤٢].

ومن الغَيْرَة المعتدلة غَيْرَة الحطيئة على بناته عندما نزل على بني مقلد بن يربوع فسألوه عما يرضى، فقال لهم: « لا تجعلوا فناء بيتي مجلسًا لكم، ولا تسمعوا بناتي غناء شبابكم»[٤٣].

كما قال الشاعر لبيد بن ربيعة مظهرًا اعتداله في الغَيْرَة على نوار[٤٤]:

أَفَلَمْ تَكُنْ تَدْرِي نُوارُ بِأَنَّنِي ... وَصَّالُ عَقْدِ حَبَائِلٍ صَرَّامُهَا

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذا لَمْ أَرْضَهَا ... أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُفُوسِ حِمامُهَا

وكان الشاعر جران العود[٤٥] يملك دواء المرأة التي تخرج عن طاعته إلى ما لا يريد، فهو يغار عليها ويحصنها، فإذا ارتاب في تصرفاتها فما عليه إلا أن ينزل الغَيْرَة في قلبها بالزواج من غيرها، فقال[٤٦]:

---

[٤٢] المرتضى: أمالي المرتضى، ج١، ص ٢٠٧.

[٤٣] الأصفهاني: الأغاني، ج٢، ص١٧٩.

[٤٤] أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: محمد علي الهاشمي، الرياض، لجنة البحوث والتأليف والنشر (١٩٨١م) ج١، ص٣٧٠.

[٤٥] جران العود: هو عامر بن الحارث النميري. شاعر وصاف، أدرك الإسلام وسمع القرآن، سمي جران العود لقوله:

خذا حذرًا يا حَنَّتَيَّ فإنني ... رأيت جران العود قد كان يصلح

[٤٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٤، ص ٧٩.

www.mtenback.com

وَلَكِنْ سَمِعْنَ الشَّيْخَ قَدْ قَالَ قَوْلَةً عَلَيْكُمْ إِذا مَا رِبْنَكُمْ بِالضَّرائِرِ

الغيرة في الشعر العربي:

وعلى الإنسان أن يحمل من الغَيْرَة ما يناسب الوضع، وألا يكون قليل الغيرة لأن التفريط مثل الإفراط كلاهما مضر وسيئ. فالذي لا يبالي بعرضه وما يحدث له، ولا بوطنه، ولا بدينه، ويجبن أمام أعدائه خوفًا على حياته، يضر نفسه ومن حوله. وهنا تكون الغيره باعثًا للشجاعة والحمية والدفاع عن الحوزة وحماية المحارم، وقد كانت المرأة موضوعًا لهذه المعاني من الغَيْرَة كما قال عمر بن لجأ التيمي يصف ضعف غَيْرَة الرجل وجبنه عن الدفاع عن نسائه وأثره في حالة الحرب على المحارم[٤٧]:

لَقَدْ ذُعِرْنا قَدِيمًا في نِسائِكُمُ وَلَمْ تَغارُوا وَلَمْ تُسْتَنْكَرِ الذُّعَرُ

كما قال[٤٨]:

فَلَوْ غِرْتُمْ يَوْمَ الحَرائِرِ لَمْ تَرُحْ مع القَوْمِ أَبْكارُ النِّساءِ وَعُونُها

كما قال عبد الله بن الزَّبِيْر الأسدي يذكر ما يحدث للنساء في حال الإفراط في عدم الغَيْرَة، وما ينتج عنها من جبن عن حماية النساء[٤٩]:

وَسَوْقَ نِساءٍ يَسْلُبُونَ ثِيابَها يُهادُونَها هَمْدَانَ رِقًّا وَخَثْعَما

كما قال قيس بن عاصم يهجو قبيلة يربوع لأنهم لم يحموا نساءهم في يوم ذوجدود[٥٠]:

---

[٤٧] عمر بن لجأ التيمي: ديوان عمر بن لجأ التيمي، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، الكويت، دار القلم، ط٢ (١٤٠١هـ) ص١٠٢.

[٤٨] عمر بن لجأ التيمي: ديوان عمر بن لجأ التيمي، ص ١٠٥.

[٤٩] عبد الله بن الزبير الأسدي: شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، بغداد، دار الحرية للطباعة (١٩٧٤م) ص١٢٧.

[٥٠] المرتضى: أمالي المرتضى، ج١، ص١١٤.

www.mtenback.com

وَيَوْمَ جُدُودٍ قَدْ فَضَحْتُـــمْ ذِمـــارَكُم وَسالَمْتُمُ وَالخَيْلُ تَدْمى نُحُورُهـــــا
سَتَحْطِمُ سَـــعْدٌ والرَّبـــابُ أُنُوفَكُـــمْ كَما حَزَّ فِي أَنْفِ القَضِيبِ جَرِيرُهـــا

وقد استغل الشعراء ضعف الغَيْرَة عند أعدائهم، وجبنهم عن الدفاع عن نسائهم في أوقات الحروب والأزمات استغلالاً كبيرًا. وكثر مثل هذا الشعر بين الشعراء الذيـــن اشتهروا بالهجاء. ومن الذين أكثروا في ذلك الفرزدق، وجرير، والأخطل، لأن هـــذه من أبرز السمات التي يمكن أن تحط من شأن المهجو، ولا يخلو هذا الهجاء من مبالغة، إذ لايهم الهاجي أن يذكر الحقيقة بعينها بقدر ما يهمه إيذاء المهجـــو بحـــق أو بببـــاطل، وإلصاق التهمة به، وخاصة تلك المرتبطة بالنساء وعدم القدرة على حمايتهن، ومع ذلك فإن ما ورد من هجاء حول موضوع عدم الغَيْرَة على النساء والجبن عن ذلك، يصـــور لنا اهتمام العرب بحماية النساء أثناء الحرب، لئلا يقعن سبايا في يد الأعـــداء، ويقـــع عليهن ذل السبي.

قال الفرزدق يعير جريرًا بقومه الذين لم يغاروا يوم الهذيل على نســـائهم، و لم يحموا بناتهم[٥١]:

وَلَمْ تَمْنَعُوا يَوْمَ الهُذَيْـــلِ بَنَاتِكُـــمْ بَنِي الكَلْبِ وَالحَامِي الحَقِيقَـــةِ مـــانِعُ
غَدَاةَ أَتَتْ خَيْـــلُ الهُذَيْـــلِ وَرَاءَكُـــمْ وَسُدَّتْ عَلَيْكُمْ مِـــنْ إِرابِ المَطَـــالِعُ

وبين الفرزدق النتائج التي ترتبت على جبنهم، وعدم غَيْرَتهم علـــى نســـائهم، فقال[٥٢]:

---

[٥١] الفرزدق، همام بن غالب: ديوان الفرزدق، بـــيروت، دار صـــادر ودار بـــيروت (١٩٦٦م) ج١، ص٤٢٠.

[٥٢] أبو عبيدة، معمر بن المثنى: كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق، اعتناء المستشرق بيفان، ليـــدن، مطبعة بريل (١٩٠٥م) ج٢، ص٧٠٥.

www.mtenback.com

فَجِئْنَ بِـــأَوْلادِ النَّصــارى إِلَيْكُــمُ حَبَــالى وَفِــي أَعْنَــاقِهِنَّ المَــدَارِعُ
تَرَى لِلْكَلْبِيَّـــاتِ وَسْــطَ بُيُوتِهِــمْ وُجُوهَ إِماءٍ لَـــمْ تَصُنْهــا الــبَرَاقِعُ

وهؤلاء نسوة بني عقال أذللن غاية الإذلال، لانعدام الغُيورين الذين يحمونهـــم. كما يقول جرير[٥٣]:

وَجَدْنــا نِسْــوَةً لِبَنِــي عِقَـــالٍ بِــدارِ الــذُّلِّ أَغْــرَاضَ الرُّمَـــاةِ

وقال يهجو الأخطل وقومه ويعيره بعدم الغَيْرَة على النساء[٥٤]:

قَيْسٌ تَزِيدُ عَلى رَبِيعَةَ فِــي الحَصَــى وَجِبَالُ خِنْدِفَ بَعْــدَ ذَاكَ فُضُــولُ
كَذَبَ الأُخَيْطِلُ ما لِنِسْــوَةِ تَغْلِــبٍ حَــامِي الذِّمــارِ وَلا يَغــارُ حَلِيــلُ

وإذا كان جرير قد هجا الأخطل ووصفه وقومه بالجبن عن الدفاع عن النساء، وعدم الغَيْرَة عليهن، فإن الأخطل هجا جريراً ووصمه بالصفـــة نفســـها، فذكـــر أن نساءهم سيقت سبايا في يوم الكلاب، وكان منهن المتزوجات والعذارى، فقال[٥٥]:

يَوْمَ الكُلاَبِ وَقَدْ سِيقَتْ نِسَــاؤُهُمُ سَوْقَ الجَلائِبِ مِنْ عُــوْنٍ وَأَبْكَــارِ

وكرر جرير هجاءه الأخطل، ووصفه وقومه ثانية بعدم الغَيْرَة علـــى النســـاء، فقال[٥٦]:

تَرَكَ الفَوارِسُ مِــنْ سُلَيمٍ نِسْــوَةً عُجُلاً لَهُنَّ على الرَّجُــوبِ عَوِيــلُ

---

[٥٣] أبوعبيدة: النقائض، ج٢، ص٧٧٨.

[٥٤] جرير، ابن عطية الكلبي: ديوان جرير بشرح محمد حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، القاهرة، دار المعارف(د.ت)، ج١، ص٩٧.

[٥٥] الأخطل، غياث بن غوث: ديوان الأخطل، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الديـــن، بـــيروت، دار الكتب العلمية، ط٢ (١٩٩٤م) ص١٦٧. والعون: المرأة المتزوجة. والأبكار: العذراوات.

[٥٦] جرير: ديوان جرير، ج١، ص ٩٨. والرجوب: موقع جرى به يوم من أيام العرب في الإسلام.

www.mtenback.com

وتابع جرير هجاءه للأخطل وقومه، قائلاً[٥٧]:

فَمَا مَنَعْتُمْ غَدَاةَ البِشْرِ نِسْوَتَكُمْ ... وَلا صَبَرْتُمْ لِقَيْسٍ مِثْلَمَا صَبَرُوا

وأكثر الشعراء من الهجاء بعدم الغَيْرَة، كما أكثروا من وصف مهجويهم بالجبن، قال جرير يهجو هزيم بن أبي طحمة المجاشعي، وهلال بن أحوز المازني[٥٨]:

وَلَمْ يَحْمُوا النِّسَاءَ وَقَدْ رَأَوْهَا ... حَوَاسِرَ مَا يُوارِينَ الخُدَامَا

كما قال في المعنى نفسه يجيب غسان بن ذهيل السليطي[٥٩]:

لَقَدْ جُرِّدَتْ يَوْمَ الحِدابِ نِسَاؤُهُمْ ... فَسَاءَت مَجَالِيْها وَقَلَّتْ مُهُورُهَا

وقال يجيب الفرزدق على هجائه قيسا، ويهجوه وقومه ويصفهم بعدم الغَيْرَة[٦٠]:

وَدَعَتْ غَمَامَةُ بِالوَقِيطِ مُجَاشِعًا ... فَوُجِدْتَ يَا وَقْيَانُ غَيْرَ غَيُورِ

ويبدو أن جريراً وجد في عدم الغَيْرَة على النساء مجالاً خصباً لهجاء خصمه الفرزدق، فقد جعله وقومه لا يغارون على نسائهم، وأنهم تركوهم كالناقة التي فارقت الإبل، فأخذت في كل وجه حتى تدرك النتاج، فقال[٦١]:

مَنَعْنَا بِجَنْبَيْ ذِي طُلُوحٍ نِسَاءَكُمْ ... وَلَمْ تَمْنَعُوا يا ثَلْطَ زَبَّاءَ فَارِقِ

وَإِنَّا لَنَحْمِيكُمْ إِذا مَا تَشَنَّعَتْ ... بِنا الخَيْلُ تَرْدَى مِنْ شَنُونٍ وَزَاهِقِ

---

[٥٧] جرير: ديوان جرير، ط١، ص١٥٧.

[٥٨] جرير: ديوان جرير، ج٢، ص٧٧٩.

[٥٩] جرير: ديوان جرير، ج٢، ص٨٩٤.

[٦٠] جرير: ديوان جرير، ج٢، ص ٨٥٩.

[٦١] جرير: ديوان جرير، ج٢، ص ٩٣٥، والزباء الناقة الكثيرة شعر الأذنين. والفارق: الناقة التي أرادت النتاج، ففارقت الإبل، وأخذت في كل وجه، حتى يدركها النتاج.

www.mtenback.com

كما نسب إلى خصمه الفرزدق وقومه أنهم عديمو الغَيْرَة، وذلك لأنهم أشباه رجال وما هم برجال. فقد تركت نساؤهم دون حماية حتى وقعن سبايا، وأصبحن في حالة ذعر وخوف من المصير الذي ينتظرهن، يبكين من السبي والذل والعار بعد أن أردفهن الذين سبوهم خلفهم على الرحائل، فقال[٦٢]:

ظَلَّ اللَّهَازِمُ يَلْعَبُونَ بِنِسْوَةٍ ... بِالجَوِّ يَوْمَ يَفُخْنَ بِالأَبْوَالِ

يَبْكِينَ مِنْ حَذَرِ السِّباءِ عَشِيَّةً ... وَيَمِلْنَ بَيْنَ حَقَائِبٍ وَرِحَالِ

لايَخْفَيَنَّ عَلَيْكَ أَنَّ مُجَاشِعًا ... شَبَهُ الرِّجَالِ وَمَا هُمُ بِرِجَالِ

ولم يكن قوم جرير بأفضل من قوم الفرزدق، فهم برأي الأخير لا يغارون على بناتهم، ويدعونهن دون حماية إذا أنشبت الحرب أظفارها، فقال[٦٣]:

وَلا يَمْنَعُونَ نُسَيَّاتِهِمْ ... إِذا الحَرْبُ صَالَتْ بِأَظْفَارِهَا

ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل إن جرير ينسب للفرزدق مواقف تبدت فيها عدم غَيْرَته، وكان الأجدر به أن يغار ويحمي نساءه، فقال[٦٤]:

فَهَلاّ غِرْتَ يَوْمَ أَرادَ قَوْمٌ ... أَصَابُوا عِقْرَ جِعْثِنَ أَنْ تَغَارَا

أَلَسْنَا نَحْنُ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... غَدَاةَ الرَّوْعِ أَجْدَرُ أَنْ نَغَارَا

ولا يقتصر الهجاء بعدم الغَيْرَة والجبن عن حماية النساء على كل من جرير، والفرزدق، والأخطل وأقوامهم. فقد وصف بضعف الغَيْرَة والجبن عن حماية النساء عدد كبير من الرجال والقبائل. ومن هؤلاء بنو عامر كما يرى بشر بن أبي خازم، إذ

---

[٦٢] جرير: ديوان جرير، ج٢، ص٩٥٩. ويملن: لأنهن قد سبين وأردفن خلف من سباهن.

[٦٣] الفرزدق: ديوان الفرزدق، ج١، ص٣٨٢ ؛ أبوعبيدة: النقائض، ج٢، ص١٠٤٢.

[٦٤] جرير: ديوان جرير، ج٢، ص ٨٨٧-٨٨٨.

www.mtenback.com

إنهم تركوا نساءهم دون حماية حتى حملهن الأعداء سبايا على أقتاب غليظة، فدميت أعجازهن. فقال[٦٥]:

بَنِي عَـــامِرٍ إِنَّـــا تَرَكْنَـــا نِسَـــاءَكُمْ مِنَ الشَّلِّ وَالإِيجافِ تَدْمَى عُجُوبُهـــا

وهؤلاء النسوة شعرن بالذل والمهانة لعدم غَيْرَة رجالهن عليهن، فقد تركوهـــن للضياع، كاشفات شعورهن، ليحسبهن العدو إماء ومع ذلك فلم يفدن شيئًا، فقال[٦٦]:

وَكَمْ مِـــنْ مَوْضِـــعٍ قَـــدْ غَادَرُوهَـــا لَهِيـــفَ القَلْـــبِ كاشِـــفَةَ القِنَـــاعِ

وَمِـــنْ أُخْـــرى مُثَـــابِرَةً تُنـــــَادِي أَلاَ خَلَّيْتُمُونَـــــا لِلضَّيَـــــــاعِ

ويؤكد بشر أنّ من ليس لديهم غَيْرَة ولاحمية، ولا يتحلون بصفات الرجولـــة، يتخلون عن نسائهم إذا استعرت الحرب. فقال معرضًا بمثل هؤلاء الرجال[٦٧]:

وَأَنْكَـــاسٌ إِذا اسْـــتَعَرَتْ ضَـــرُوسٌ تُخَلِّـــي مِـــنْ مَخَافَتِهَـــا النِّســـــاءُ

ويشبه الشعراء نساء الذين لايغارون عليهن في الحروب بالإماء حين ينكشـــف سترهن ويظهرن حاسرات خائفات مثل الإماء لأنهن لا يجدن من يحميهن ويدافع عـــن كرامتهن. وقد وصف سبرة الفقعسي خصمه بعدم الغيرة على النساء في الحرب وذكـــر شجاعته هو ودفاعه عن النساء فقال[٦٨]:

أَتنسى دِفَاعِي عَنْكَ إِذْ أَنْتَ مُسْـــلِمٌ وَقَدْ سَالَ مِـــنْ ذُلٍّ عَلَيْـــكَ قَراقِـــرُ

---

[٦٥] ابن أبي خازم، بشر: ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حســـن، دمشـــق، وزارة الثقافـــة، ط٢ (١٩٧٢م) ص١٩.

[٦٦] المصدر السابق، ص١١٢.

[٦٧] المصدر السابق، ص ١٩.

[٦٨] المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، نشر: أحمد أمين، وعبد الســـلام هـــارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢ (١٩٦٨م) ج١، ص٢٣٧.

www.mtenback.com

وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وُجُوهُهَا يُخَلْنَ إِمَاءً وَالإِمَاءُ حَرَائِرُ

وقال جرير يهجو كلاً من الفرزدق والأخطل ويعيرهما بعدم الغيرة على نسائهم حين جبنوا عن الدفاع عنهن[٦٩]:

وَضَيَّعْتُمُ بِالبِشْرِ عَوْرَاتِ نِسْوَةٍ تُكَشَّفُ عَنْهُنَّ العِبَاءُ المُسَيَّحُ

وأجرى الشعراء مقارنة بين عديمي الغَيْرَة، وبين أولئك الذين يَغارون على نسائهم ويحمونهن، ذلك أن عديمي الغَيْرَة يَدَعُونَ حماية نسائهم لغيرهم، كما وصف الأخطل قوم جرير بالجبن وعدم الغيرة؛ لأنهم لم يحموا نساءهم من تغلب، وتركوهن داميات الأقدام، مردفات خلف آسريهن، بينما يصف قبيلته بشدة الغيرة على النساء والحمية لهن فقال[٧٠]:

تَرَكُوا لِتَغْلِبَ إِذ رَأَوا أَرْمَاحَهُمْ بِإِرَابِ كُلِّ لَئِيمَةٍ مُدْرَانِ

تُدْمِي وَتَغْلِبُ يَمْنَعُونَ بَنَاتِهِمْ أَقْدَامَهُنَّ حِجَارَةُ الصُّوَّانِ

يَمْشِينَ فِي إِثْرِ الهُذَيْلِ وَتَارَةً يُرْدَفْنَ خَلْفَ أَوَاخِرِ الرُّكْبَانِ

وهجا جرير الفرزدق ونعته وقومه بأنهم لا يغارون على النساء، ولا يفون لجار، ويقارن بين قومه وقوم الفرزدق، فيزعم بأن مجاشعًا لا يغارون على نسائهم، ولا يحمونهن في يوم الروع، فقال[٧١]:

إِنَّا لَنَرْبَعُ بِالخَمِيسِ تَرَى لَهُ رَهَجًا وَنَضْرِبُ قَوْنَسَ الجَبَّارِ

إِذْ لا تَغَارُ عَلَى البَنَاتِ مُجَاشِعٌ يَوْمَ الحِفَاظِ وَلا يَفُونَ بِجَارِ

---

[٦٩] أبو عبيدة: النقائض، ج١، ص٥٠٨.

[٧٠] أبو عبيدة: النقائض، ج١، ص٨٨٣.

[٧١] جرير: ديوان جرير، ج٢، ص٨٩٧.

www.mtenback.com

ومن المؤلم للنساء ألا يغار عليهن الأزواج، ولا يدافعوا عنهن، فيفقدن الثقة بهم، حتى ينبري لهن غير الأزواج، الذين يمدحون بالغيرة على المرأة والحمية لها مثل الحجاج الذي يصفه جرير بأنه يحمي النساء حين يعجز الأزواج عن حمايتهن. يقول جرير(٧٢):

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفاقِ عَلَيْهِمُ ... أَمْ مَنْ يَصولُ كَصَوْلَةِ الحَجَّاجِ

أَمْ مَنْ يَغَارُ على النِّساءِ حَفِيظَةً ... إِذْ لا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ الأَزْواجِ

لقد اتخذ الشعراء المرأة قضية يقيسون بها غيرة الشهم عليها أو العكس، فمن يغار على المرأة ويحميها وتعز بجانبه يمدح، ومن يجبن عنها وتذل عنده يهجوه الشعراء ويستطيلون عليه، وقد يفخر الشاعر بسبي نساء خصومه عندما لايستطيعون حمايتهن، كما وصف مجمع أسره لنساء أعدائه، وما يقلن له وهنّ يعثرن في سيرهنّ معهم أسيرات حزينات فقال(٧٣):

وَعَاثِرَةٍ يَوْمَ الهُيَيْما(٧٤) رَأَيْتُها ... وَقَدْ ضَمَّها مِنْ دَاخِلِ الخُلْبِ مَجْزَعُ

لَهَا غُلَلٌ في الصَّدْرِ لَيْسَ بِبَارِحٍ ... شَجًى نَشِبٌ والعَيْنُ بِالماءِ تَدْمَعُ

تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُها مِنْ حَلِيلِها ... تَعِسْتَ كَمَا أَتْعَسْتَنِي يا مُجَمِّعُ

فَقُلْتُ لَهَا بَلْ تَعْسَ أُخْتِ مُجَاشِعٍ ... وَقَوْمِكِ حَتَّى خَدُّكِ اليومَ أَضْرَعُ

ولشدة وقع السبي على النساء، فإنهن إذا وقعن في الأسر لا يقبلن العودة إلى الزوج الذي تخلى عن الدفاع عنهن، وَمَكَّنَ الأعداء من سبيهن، وكان الرجل

---

(٧٢) جرير: ديوان جرير، ص٨٤، ١٣٧؛ ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٥٠.

(٧٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج٢، ص٧١٦-٧١٨.

(٧٤) الهييما: اسم موضع كانت فيه وقعة لبني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة على بني مجاشع.

www.mtenback.com

بالمقابل – خشية من وقوع هذا المحذور – يجود بآخر قطرة من دمه، حتى لا يدع نساءه سبايا في يد الأعداء. قال مالك بن أبي كعب الأوسي يصور موقف الرجال هذا[٧٥]:

مَعَاذَ الإِلَـــهِ أَنْ تَقُـــولَ حَلِيْلَـــتِي ... أَلاَ فَرَّ عَنّي مَالِكُ بْنُ أَبِـــي كَعْـــبِ

أُقَاتِلُ حَتّـــى لاَ أَرى لِـــي مُقَـــاتِلاً ... وَأَنْجو إِذا عُمَّ الجَبَانُ مِـــنَ الرَّكْـــبِ

كما قال عمرو بن كلثوم مصوراً موقف الزوجات أثناء المعركة، وكيف يحرضن الرجال على الدفاع عنهن، كما يذكرنهم بعواقب الجبن، وأن الدفاع عنهن مقـــرون بالغَيْرَة عليهن[٧٦]:

يَقُتْـــنَ جِيادَنَـــا وَيَقُلْـــنَ لَسْـــتُمْ ... بُعولَتَنَـــا إِذا لَـــمْ تَمْنَعُـــــونَا

نُسَـــمَّى ظَـــالِمِينَ وَمَـــا ظَلَمْنَـــا ... وَلَكِـــنْ سَـــوفَ نَبْـــدَأُ ظَالِمِينَـــا

والمرأة لاتقبل الرجل الجبان، ولا ترضى معاشرته كما يقول البحتري[٧٧]:

تَذُمُّ الفَتَـــاةُ الـــرَّودُ شِـــيْمَةَ بَعْلِهَـــا ... إِذا بَاتَ دُونَ الثَّأْرِ وَهْوَ ضَجِيعُهَـــا

حَمِيَّـــةُ شَـــعْبٍ جَـــاهِلِيٍّ وَعِـــزَّةٌ ... كِلاَبِيَّةٌ أَعْيا الرِّجَـــالَ خُضُوْعُهَـــا

وقد تأخذ المرأة العربية الأنفة فتزهد في البعل الذي لايوفر لها الحماية، وترغـــب فيمن يحميها ولو كان سابيها، فالشجاعة والغيرة هي عشق العربي رجلاً أو إمرأة.

وهذه حسينة بنت جابر العجلي تضرب المثل على تقدير الشجاعة واحترام القوة، وتبغض الخور والخوف، وتنكر ذلك من بعلها الذي فرَّ عنها وتركها للسبي فلا تقبـــل

---

[٧٥] الحوفي، أحمد بن محمد: المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعـــة والنشـــر، ط٣، (١٩٨٠م)، ص٢١٠. نقلاً عن الخالديين مخطوط ١٠.

[٧٦] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، ج١، ص ٤١٣.

[٧٧] القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي: زهر الآداب وثمر الألباب، شرح: زكي مبارك، تحقيق: محمـــد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط٤ (د.ت) ج١، ص١١٢. والرود: الجميلة الوافرة الحياء.

www.mtenback.com

بالعودة معه، وتقول له في شموخ المرأة العربية الحرة وأنفتها: إنها لن تقبله بعـــلاً بعـــد اليوم، ولكن لاتطيق السبي فتقبل العودة مع أخيها أبجر بن جابر الذي أحسن فداءهـــا وتخاطب بعلها قائلة[٧٨]:

تَمّـــامُ قَـــدْ أَسْـــلَمْتَنِي لِرِمَـــاحِهِمْ ... وَخَرَجْتَ تَرْكُضُ فِي عَجَاجِ القَسْطَلِ

وَتَلُومُنِـــي أَلاَّ أَكُـــــرَّ عَلَيْكُـــمُ ... هَيْهَـــاتَ ذَلِـــكَ مِنْكُـــمُ لا أَفْعَـــلُ

فكان موقفها المشرف سببًا في احترام شخصيتها وتقدير العرب لذلك المثل ممـــا جعل سابيها عمرو بن الحارث يخرج معها حتى يجوز بها أرض تميم ويقول مســـجلاً موقفه البطولي في سبيها وفي إطلاقها لأخيها[٧٩]:

وَخَيَّرْنَـــا حُسَـــيْنَةَ إِذْ أَتَاهَـــا ... سَـــوَادَةُ ضَارِعًـــا مَعَـــهُ الفِـــدَاءُ

وَقَـــالَتْ إِنْ رَجَعْـــتُ إِلى تَمِيْـــمٍ ... مُخَـــيَّرَةً فَقَـــدْ ذَهَـــبَ الحَيَـــاءُ

وَهَبْنَاهَـــا لأَبْجَـــرَ إِذْ أَتَانَـــا ... وَفِينَـــا غَيْرُهَـــا مِنْهُـــمْ نِسَـــاءُ

ومن ذلك يقول جرير للأخطل أيضًا[٨٠]:

وَرَأَتْ حُسَيْنَةُ بِـــالعَذَابِ فَوَارِسًـــا ... تَحْوِي النِّهَـــابَ وَتَقْسِـــمُ الأَنْفَـــالا

كما عيّر عامر بن الطفيل رجلاً اسمه قيس؛ لأنه ترك زوجته وفرّ عنها جبنًا وقلة غَيْرَة، فقال[٨١]:

---

[٧٨] المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران: أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني، وهلال نـــاجي، بغداد، دار الرسالة للطباعة (١٩٧٦م) ص٢٠٧-٢٠٩.

[٧٩] المرزباني: أشعار النساء، ص٢٠٩-٢١٠.

[٨٠] المرزباني: أشعار النساء، ص٢١١؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢١١.

[٨١] عامر بن الطفيل: ديوان عامر بن الطفيل العامري، رواية ابن الأنباري عن ثعلـــب، تحقيـــق: ليـــال، كمبردج، (١٩١٩م) القصيدة الثانية؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢١٠.

www.mtenback.com

وَأَفْلَتَنَا علَى الحُومَانِ قَيْسٌ وَأَسْلَمَ عِرْسَهُ ثَمَّ اسْتَقَامَا

وهجا الفرزدق بني جعفر ووصفهم بانعدام الغَيْرَة، وترك نسائهم سبايا في يد الأعداء فقال[٨٢]:

إِذا ذَكَرَتْ زَوْجًا لَهَا جَعْفَرِيَّةٌ وَمَصْرَعَ قَتْلَى لَمْ تُقَبِّلْ ثُؤُورُهَا

تَبَيَّنَ أَنْ لَمْ يَبْقَ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ مُحامٍ وَلا دُونَ النِّساءِ غَيُورُهَا

وَقَدْ أَنْكَرَتْ أَزْوَاجَهَا إِذْ رَأَتْهُمُ عُرَاةً نِسَاءٌ قَدْ أُحِرَّتْ صُدُورُهَا

وإذا كان عدم الغَيْرَة والجبن عن حماية النساء قد استُغِلّ في هجاء من يريد الهاجون هجاءه، والحط من شأنه، سواء كان ذلك حقيقة واقعة مبالغًا بها أم لم يكن، ليجعلوها خنجرًا يصيب قلب المهجو، فإن الغَيْرَة على النساء والدفاع عنهن في المعارك والغزوات وحمايتهن من الأعداء، استغلها المادحون لتكون من أحسن الخصال التي يصفون بها ممدوحهم. وقد نال المدح بهذه السمة ممدوحين كثرُ، فوصفوا بالغَيْرَة على النساء والاستماتة في القتال دونهن، وحمايتهم لهن لئلا يقعن في أسر الأعداء وينالهن الذل والعار. كما فخر بالذود عن الحرمات شعراء كثيرون ووصفوا أنفسهم بالغَيْرَة على النساء. قال زهير بن مسعود الضبي ذاكرًا حماية النساء والدفاع عنهن[٨٣]:

فَخَيْرٌ نَحْنُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْكُمْ إِذا الدَّاعِي المُثَوِّبُ قَالَ يَالاَ

وَلَمْ تَشْقِ العَواتِقُ مِنْ غَيُورٍ بِغَيْرَتِهِ وَخَلَّيْنَ الحِجَالاَ

وقد أكثر الشعراء في شعرهم من ذكر حماية المرأة غيرة، وجعلوا ذلك من الحمية والأنفة، ومن لا يفعل هذا ينسب إلى الجبن وقلة الغَيْرَة، قال الشاعر كثير عزة يصور ذلك[٨٤]:

---

[٨٢] الفرزدق: ديوان الفرزدق، ج١، ص٣٦٧. وأحرت صدورها: عطشت.

[٨٣] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ٤٩. نقلاً عن النوادر في اللغة، ص ١٨٥.

[٨٤] كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص ٣٨٦؛ ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ٤٩.

www.mtenback.com

وَنَحْنُ غَيَارَى دُونَ كُـــلِّ خَرِيْـدَةٍ تُكِنُّ أديمًا وَاضِحًـا وَشَـوىً عَبْـلا
وَيُؤْخَذُ منّـــا العَقْـلُ دُونَ دِمَائِنَـا وَنَأْبَى فَلا نَسْتَاقُ مِنْ دَمِنـــا عَقْـلا
وَنَحْمِي إِذا اشْتَدَّ الهِيـــاجُ نِســاءَنَا وَلَمْ يَرَ ذُوعَيْـــنٍ لِنِسْـوَتِنَا حِجْـلا

ويذكر الشاعر جرير حماية قومه للنساء والغَيْرةَ عليهن، فيقول[٨٥]:

وَإِذا النِّسَاءُ خَرَجْـــنَ غَـيْرَ تَـبَرُّزٍ غِرْنَـا وَعِنْـدَ خُرُوجِهِـنَّ نَغَـــارُ
نَحْمِي مُخَـــاطَرَةً عَلَـى أَحْسَـابِنَا كَـرَمَ الحُمَـاةُ وَعَـزَّتِ الأَخْطَـارُ

وهو يمدح قومه بالغَيْرةَ على النساء وحمايتهن، ويهجو خصمه الفرزدق، ويرى بأنه وقومه يضعفون عن حماية النساء لضعف غيرتهم، حتى أن نساءهم بحاجة إلى مـــن يدافع عنهن، فقال[٨٦]:

ما زَالَ في الدَّارِ حَامٍ عَنْ ذِمَـــارِكُمُ عِنْدَ النِّسَاءِ عَذُومُ النَّفْـــسِ مِغْيَـارُ

ويمدح ربيعة بن مقروم المدافعين عن النساء الحامين لهن الغيورين، فيقول[٨٧]:

يُهِينُـونَ في الحَـــقِّ أَمْوَالَهُـــمْ إِذا اللَّزَبَـاتُ انْتَحَيْـنَ المُسِـــيمَا
طِـوَالُ الرِّمَـاحِ عَـدَاةَ الصَّبَـاحِ ذَوُو نَجْـدَةٍ يَمْنَعُـونَ الحَرِيمَـــا

ويبدي الشاعر ذو الرمة غَيْرَة على النساء إذا حدث ما يروعهـــن فيحميهـــن ويكرمهن فقال[٨٨]:

---

[٨٥] جرير: ديوان جرير، ج٢، ص٨٧٥.

[٨٦] جرير: ديوان جرير، ج١، ص٣٦٣.

[٨٧] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، القـاهرة، دار المعـارف، ط٨ (د.ت) ص٢٠٦ والمسيما مشتقة من السائمة، ويقصد الكثير الإبل والغنم. واللزبات: الشدائد.

[٨٨] ذو الرمة: ديوان ذي الرمة، ج٢، ص١١٤١.

www.mtenback.com

نَغَارُ إذا مَا الرُّوْعُ أَبْدَى عَنِ الـــبُرى وَنَقْرِي سَدِيفَ الشَّحْمِ والماءُ جامِسُ

وفي مواقف أخرى من الحرب والحمية لايجد الرجل الغيور على المحارم من بد في التضحية والمخاطرة بحياته حتى يحمي عرضه ويصون كرامته، ولايدفعه إلى ذلـــك إلا الغيرة على المرأة عندما يراها في خوف وهلع وهي تحـــاول الخـــلاص مـــن الأســـر، ولاخلاص إلا بالتضحية من أجلها. وقد وصف عمرو بن معديكرب موقفه بقوله[٨٩]:

لَمّـــا رَأَيْـــتُ نِسَـــاءَنَا يَفْحَصْـــنَ بِـــالمِعْزَاءِ شَـــدّا

وَبَـــدَتْ لَمِيْـــسُ كَأَنّهَـــا بَـــدْرُ السَّـــمَاءِ إذا تَبَـــدَّى

نَـــازَلْتُ كَبْشَـــهُمُ وَلَـــمْ أَرَ مِـــنْ نِـــزَالِ الكَبْـــشِ بُـــدّا

ولم يكن مسكين الدارمي يقل غَيْرَة على النساء عن غيره إذا وجدهن في مأزق، حيث تثور حميته غَيْرَة عليهن كما قال[٩٠]:

فَغِرْنَـــا إنَّ غَيْرَتَنَـــا كَذَاكُـــمْ إذا بَـــرَزَ النِّسَـــاءُ مِـــن الحِجَـــالِ

والغَيْرَة على النساء هي التي دفعت بالشاعر أبي خراش إلى الدفاع عن زوج أبيه (مُرّة)، وعرّض نفسه من أجل إنقاذها إلى الخطر، وظل يحميهـــا حتـــى وصلـــت إلى مأمنها. ويصور لنا شدة الخطر الذي تعرض له بسبب هذه الغَيْرَة، فقد كـــاد يرمـــل زوجته، ويتم ابنه خراش، وصور لنا خوف ابنته عليه، وكيف استقبلته مهنئة له علـــى نجاته من الموت المحقق، فقال[٩١]:

تَقُولُ ابْنَتِـــي لَمَّـــا رَأَتْنِـــي عَشِـــيَّةً سَلِمْتَ وَمَا إنْ كِدْتَ بِالأَمْسِ تَسْلَمُ

---

[٨٩] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج١، ص ١٧٧-١٧٨.

[٩٠] مسكين الدارمي: ديوان مسكين الدارمي، ص٦٤؛ ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٥١.

[٩١] ديوان الهذليين، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، نسخة مصورة عـــن مطبعـــة دار الكتـــب، (١٩٦٥م) ج٢، ص١٤٨.

www.mtenback.com

وَلَوْلا دِرَاكُ الشَّدِّ قَاظَتْ حَلِيْلَتِـــي تَخَيَّرُ مِـــنْ خُطَّابِهـــا وَهْـــيَ أَيِّـــمُ
فَتَقْعُدُ أَوْ تَرْضَـــى مَكَـــانِي خَلِيْفَـــةً وَكَادَ خِـــرَاشُ يَـــوْمَ ذَلِـــكَ يَيْتَـــمُ

وقال الأعور الشَّني في الدفاع عن النساء غَيْرَة[٩٢]:

وَأَكْرَمُ مَـــا تَكُـــونُ عَلَـــيَّ نَفْسِـــي إِذَا مَا قَـــلَّ فِـــي اللَّزَبَـــاتِ مَـــالِي
فَتَحْسُنُ نُصْرَتِي وَأَصُـــونُ عِرْضِـــي وَتَجْمُلُ عِنْدَ أَهْـــلِ الـــرَّأْيِ حَـــالِي

ووصف بعضهم بالغَيْرَة على نسائهم وحمايتهم، أمثال بني السيد الذيـــن قـــال عنهم الأخضر بن هبيرة[٩٣]: إنهم قوم لا عيب فيهم، فهم أصحاب أنفة وإباء، فمـــا لحقهم عار في حرمة مذ كانوا، ولا أصابهم سباء عند غارة، بل كانوا يحفظون نساءهم من أن تبتذل عند الفزع[٩٤]:

دَعِ السِّيْدَ إِنَّ السِّيْدَ كَـــانَتْ قَبِيْلَـــةً تُقَاتِلُ يَـــوْمَ الـــرَّوْعِ دُونَ نِسَـــائِهَا

وافتخر أحد اللهازم بغَيْرَة قومه على النساء وحمايتهم في يوم الوقيط[٩٥]، حـــين غارت اللهازم من بكر على تميم، فقال[٩٦]:

نَحْنُ حَمَيْنَا يَـــوْمَ لاَ يُحْمَـــى بَشَـــرْ يَـــوْمَ الوَقِيْـــطِ والنِّســـاءُ تُبْتَـــقَرْ
قَـــوْسٌ تَنَقَّاهَـــا مِـــنَ الـــنَّبْعِ وَزَرْ تُـــرِنُّ إِنْ تَنَـــازَعَ الكَـــفُّ الوَتَـــرْ

وهجا الفرزدق جريرًا وقومه؛ لأنهم لا يحمون النساء، علـــى حـــين أن قـــوم الفرزدق حماة غُيَّر كما يزعم، فقال[٩٧]:

---

[٩٢] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٤٦٠.
[٩٣] هو ابن المنذر بن ضرار من بني حنبة.
[٩٤] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج٢، ص ٥٨٩.
[٩٥] كانت الوقيط للهازم من بكر بن ربيعة على تميم.
[٩٦] جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية، ص١٧٠-١٧٤
[٩٧] الفرزدق: ديوان الفرزدق ج١، ص٣٧٤، أبو عبيدة: النقائض، ج٢، ص٨٧٢.

www.mtenback.com

مَنَعَ النِّسَاءُ لآلِ ضَبَّةَ وَقْعَةً ... وَلآلِ سَعْدٍ وَقْعَةٌ مِبْكَارُ
فَاسْأَلْ غَدَاةَ جَدُودَ أَيُّ فَوَارِسٍ ... مَنَعُوا النِّساءَ لِعَوْذِهِنَّ جُؤَارُ[98]

وقال بشر بن أبي خازم يفتخر بالغَيْرَة على النساء هو وقومه يوم يحمى الوطيس[99]:

إِذَا مَا الحَرْبُ أَبْدَتْ نَاجِذَيْهَا ... غَدَاةَ الرَّوْعِ وَالْتَقَتِ الجُمُوعُ
بِنَا عِنْدَ الحَفِيظَةِ كَيْفَ نَحْمِي ... إِذَا مَا شَفَّهَا الأَمْرُ الفَظِيعُ
عَقَائِلَنَا وَنَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا ... بِكُلِّ مُهَنَّدٍ صَافٍ صَنِيعُ

وقال قيس بن الخطيم مفتخراً بغَيْرَة قومه على النساء، وحمايتهن والدفاع عنهن[100]:

وَإِنَّا مَنَعْنَا فِي بُعَاثٍ نِسَاءَنَا ... وَمَا مَنَعَتْ مِنَ المُخْزِيَاتِ نِسَاءَهَا

ووصف الفرزدق غَيْرَة قومه على النساء وحمايتهن إذا حدثت غارة، واشتدت لظى الحرب، ودب الخوف بين النساء خشية السباء، فقال[101]:

والمَانِعُونَ إِذَا النِّسَاءُ تَرَادَفَتْ ... حَذَرَ السِّبَاءِ جِمَالُهَا لا تُرْحَلُ
يَحْمِي إِذَا اخْتُرِطَ السُّيُوفُ نِسَاءَنَا ... ضَرْبٌ تَخِرُّ لَهُ السَّوَاعِدُ أَرْعَلُ

ولم يكن جرير وقومه يقلون غيرة على النساء من الفرزدق وقومه، فهم حسب ما ذكر جرير يغارون على النساء ويحمونهن، فقال[102]:

---

[98] جدود: موضع لبني تميم. العوذ: النياق ذوات الأطفال. الجؤار: الصوت المرتفع.

[99] بشر بن أبي خازم: ديوان بشر بن أبي خازم، ص١٣٤.

[100] قيس بن الخطيم: ديوان قيس بن الخطيم، ص ٥١.

[101] الفرزدق: ديوان الفرزدق، ج٢، ص١٥٥؛ أبوعبيدة: النقائض، ج١، ص١٨٤. وأرعل: مسترخ.

[102] جرير: ديوان جرير، ج٢، ص٦٥٩. والجاسرين من الجسور: المحتمل للثقل الفادح القوي عليه.

www.mtenback.com

المَـانِعِيْنَ إِذَا النِّسَـــاءُ تُبُذِّلَـــتْ وَالجاسِـرِينَ بِمُضْلِـــعِ المَغْـــرُومِ

وعنترة بن شداد يفتخر بالغَيْرَةَ على النساء، والدفاع عنهن أيام الحرب، لئـــلا يقعن في أسر الأعداء. وغيرته لا تنحصر في نساء قبيلته، بل تعم نساء القبائل الأخرى، ومما قاله في هذا المجال[١٠٣]:

وَمُغِـيْرَةٍ شَـــعْوَاءَ ذَاتِ أَشِّـــلَةٍ فِيهـا الفـوارِسُ حَاسِـرٌ وَمُقَنَّـــعُ

فَزَجَرْتُها عَـــنْ نِسْـوَةٍ مِـــنْ عَـامِرٍ أَفْخَـاذُهُنَّ كَـــأَنَّهُن الخِـــرْوَعُ

فعنترة يندفع في سبيل الحرمات غَيْرَة دون أن ينتظر من يحمسه، وتكفيه الدعوة، وتغنيه الإشارة. وذلك من أجل أبناء القبيلة جميعًا، يقول[١٠٤]:

لَمّا سَـمِعْتُ دُعَـاءَ مُـرَّةَ إِذْ دَعَـا وَدُعَاءُ عَبْـسٍ فِي الوَغَـى وَمُحَلَّـلِ

نادَيْتُ عَبْسًـــا فَاسْـتَجَابُوا بِالقَنَـا وَبِكُلِّ أَبْيَـضَ صَـارِمٍ لَـمْ يَنْجَـلِ

ويذكر لنا في شعره أنه لايقبل أن تصاب نساء القبيلة بسوء، ولا أن تتمكن من سبيهن قوة عاتية، ولذلك فهو يفتخر بما فعله من أجل حمايتهن، فيقول[١٠٥]:

وَنَحْـنُ مَنَعْنَـا بِـالفَرُوقِ نِسَـاءَنَا نُطَرِّفُ عَنْهـا مُشْـعِلاتٍ غَوَاشِـيا

أَبَيْنَـا أَبَيْنَـا أَنْ تَضِـبَّ لَثَـاتُكُمْ عَلى مُرْشِـفَاتٍ كالظِّبَـاءِ عَواطِيـا

حَلَفْتُ لَها وَالخَيْلُ تَدْمَـى نُحُورُهـا نُفارِقُكُمْ حَتَّـى تَهُـزُّوا العَوالِيـا

وَنَحْفَظُ عَـوْرَاتِ النِّسَـاءِ وَنَتَّقِـي عَلَيْهِـنَّ أَنْ يَلْقَيْـنَ يَوْمًـا مَخَازِيـا

---

[١٠٣] عنترة بن شداد: ديوان عنترة بن شداد، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولـــوي، بـيروت، المكتـب الإسلامي، (١٩٨٣م)، ص٨٦.

[١٠٤] عنترة بن شداد: ديوان عنترة بن شداد، ص٨٧.

[١٠٥] عنترة بن شداد: ديوان عنترة بن شداد، ص٨٦؛ جاد المولى: أيام العرب في الجاهلية، ص٢٦٧.

www.mtenback.com

ويبدو عنترة هنا صاحب قوة وحمية وغَيْرَة، فلا يكاد يرى امرأة في موقف حرج، أو يشعر بأن خطراً يحدق بها، حتى تدب نار الغَيْرَة في نفسه، فيقذفها في أتون المعركة، مدافعًا عن المرأة، ساعيًا لخلاصها، لا يبغي من وراء عمله منًّا أو شكورًا، لأن غَيْرَته النابعة من صميم فؤاده هي التي تدفعه إلى ما فعل.

ويرى عمرو بن الخثارم كيف يستميت أعداؤه دون نسائهم عندما يقاتلون عن شرفهم وعزتهم، ويصفهم وصف المعجب ببطولتهم حين صدوه وقومه بشجاعتهم فيقول[١٠٦]:

شَدَدْنَا عَلَيْهِمْ والسُّيُوفُ كَأَنَّهَا ... بِأَيْمَانِنَا غَمَامَةٌ تَتَبَسَّمُ

وَقَامُوا لَنَا دُونَ النِّسَاءِ كَأَنَّهُمْ ... مَصَاعِيبُ زُهْرٌ جُلِّلَتْ لا تُحَطَّمُ

وقال عنترة بن شداد يمدح الغَيْرَة على النساء وحمايتهن[١٠٧]:

وَإِذا الأُمُورُ تَحَوَّلَتْ أَلْفَيْتَهُمْ ... عُصُمَ الهَوالِكِ سَاعَةَ الزِّلْزَالِ

وَهُمُ الحُماةُ إِذا النِّسَاءُ تَحَسَّرَتْ ... يَوْمَ الحِفَاظِ، وَكَانَ يَوْمَ نِزَالِ

يُقْصُونَ ذَا الأَنَفِ الحَمِيِّ وَفِيهِمُ ... حِلْمٌ وَلَيْسَ حَرامُهُمْ بِحَلالِ

وإذا كان الغيور يفتخر بالغَيْرَة على النساء وحمايتهن، فإن بعضهم يفخر بعدم تمكين أعدائهم من حماية نسائهم، مثل الحارث بن وعلة الجرمي الذي يقول[١٠٨]:

سَائِلْ مُجَاوِرَ جَرْمٍ هَلْ جَنَيْتَ لَهُمْ ... حَرْبًا تُزَيِّلُ بَيْنَ الجِيْرَةِ الخُلُطِ

---

[١٠٦] الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد: المفضليات، عناية كارلوس يعقوب لايل، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، (١٩٢٠م) ص١١٤.

[١٠٧] عنترة بن شداد: شرح ديوان عنترة بن شداد، قدم له وعلق حواشيه: سيف الدين الكاتب، وأحمد عصام الكاتب، بيروت، منشورات مكتبة الحياة (د.ت) ص١٠٩.

[١٠٨] الضبي: المفضليات، ص ٣٢٨ .

www.mtenback.com

حَتَّى عَلَـوْتُ بِجَـرَّارٍ لَـهُ جَلَـبٌ يَأْتِي مَخارِمَ بَيْـنَ السَّـهْلِ وَالفُـرُطِ
وَهَلْ تَرَكْتُ نِسـاءَ الحَـيِّ ضَاحِيَـةً فِي سَاحَةِ الحَيِّ يَسْـتَوقِدْنَ بِـالغَبَطِ

وقال أحدهم يصف الموقف نفسه[١٠٩]:

تَرَكْتُ نِسـاءَ سـاعِدَةَ بْـنِ مُـرٍّ لَهُـنَّ عَلَـى مُزَاحَفَـةٍ عَوِيْـلُ
جَمَعْتُ لَـه يَـدَيَّ بِـذِي كُعُـوبٍ يُقَـدِّمُ نَصْلَـهُ أَظْمَـى طَوِيـلُ
فَإِنْ سِلْمًا بَنِي حَـرْبٍ فَسِلْـمٌ وَإِنْ حَرْبًـا فَقَـدْ شُـفِيَ الغَلِيـلُ

لقد غلب على العرب الغَيْرَة على النساء حتى نساء الأعداء أوقات الحـروب، فقد غار مروان القرظ بن زنباع على خماعة بنت عوف التي توفي زوجها ليـث بـن مالك، واضطرت للالتحاق بأهلها، فهاجمها جماعة مع مروان القرظ وأخذوها، وكـان الذي أصابها عمرو بن قارب، وذؤاب بن أسماء، ولما عرف مروان القـرظ نسـبها، انتزعها غَيْرَة عليها، وقال لها: غطي وجهك، والله لا ينظر إليه عربي حتـى أردك إلى أبيك، وضمها إلى أهله، حتى إذا دخل الشهر الحرام، أحسن كسـوتها، وأخدمهـا، وأكرمها، وحملها إلى عكاظ، حيث قبة أبيها[١١٠].

وهكذا يتضح لنا أن الَغْيرَة عند العرب كانت من أهم العوامل التي ساعدت على ثباتهم أثناء الحروب والمعارك. وليس الثبات فحسب بل الدفاع عن النساء. فكان على الرجل الذي يغار على زوجته وبناته وأخواته وسائر أهله، أن يَثْبتَ في المعارك، ويقـدم كل غالٍ ورخيص من أجل عدم تركهن سبايا في أيدي الأعداء، ولئلا يتركهن للـذل والهوان. ولو لم يفعل، فإنه سيخسر زوجته التي تحتقره، ولا تقبل بالعودة إليه، فـذل الأسر أهون عندها من العيش مع رجل عديم الَغْيرة جبان.

---

[١٠٩] أبو زيد الانصاري: النوادر في اللغة، ص١٤٨.

[١١٠] جاد المولى وزملاؤه: قصص العرب، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، طبعة جديـدة (١٩٧١م) ج١، ص١٦٣-١٦٤.

www.mtenback.com

وقد استغل ثبات الرجال دفاعًا عن نسائهم، أو جبنهم وعدم غَيْرَتهم، في الهجاء والمدح على السواء. فمن انعدمت عنده الغَيْرة، وجبن عن الدفاع عن نسائه، كان ذلك عار الأبد، وسيوقد هذا العار اشتعالاً، الهجاء الذي ينال من أعدائه، والذي سيتناقله الناس ويحفظونه كابرًا عن كابر. وأما الغَيور الذي يثبت في ساحات المعارك، مدافعًا عن نسائه، فهو الممدوح الذي يطريه الشعراء، ويدع لنفسه وأهله وقبيلته ما يفتخرون به. وسيبقى ذلك علمًا عليه أبد الدهر.

أوجه الغيرة:

لا تقتصر الغَيْرَة على النوع المعروف بين الزوجين، بل هي أوسع من ذلك بكثير، فالغَيْرة تكون على جميع أفراد الأسرة: الزوجات، والبنات، والأخوات، وسائر الأقرباء. وهناك الغَيْرة بين الأقران، والغَيْرة على الوطن والحمى، والغَيْرة على الوقت، والغَيْرة عصبية للقبيلة، والغَيْرة في حق الله، وغَيْرَة الله على عباده، وما سوى ذلك من أوجه الغَيْرة. وسوف نتتبع هذه الأنواع من الغَيْرة لتوضيحها.

الغيرة على جميع أفراد الأسرة:

الغَيْرَة بين الأزواج:

الغيرة بين الأزواج مشروعة؛ لأنها من الغرائز البشرية التي أودعها الله في الإنسان رجلاً كان أو امرأة. ولا سبيل إلى استئصالها من النفس، ولا خيار للإنسان فيها. فلا إثم إن غارت المرأة على زوجها من غيرها من النساء، أو العكس، ما لم يفحشا في القول والفعل، ويخرجا عن الحد المقبول، ذلك لأن الغَيْرة المعتدلة فطرية تبرز كلما أحست الزوجة مشاركة غيرها من النساء لها في حقها دون اختيار منها، وكذلك إذا أحس الزوج بنفس الشعور، وهو في حق الرجل أقوى وأعنف، بل هو ما ينبغي في الرجل حفاظًا على العرض وحماية للأنساب، ودفعًا للفساد. ولو تسامح الناس بها وتساهلوا لاختلطت الأنساب، ولذا قيل: «إذا الأُمّة وضعت الغيرة في رجالها،

www.mtenback.com

ووضعت الصيانة في نسائها فقد حفظت أنسابها وصفت أحسابها»[١١١]. واعتبر الشارع من قتل في سبيل الدفاع عن عرضه شهيداً، ففي الحديث: «من قتل دون أهله فهو شهيد»[١١٢].

وغيرة المرأة خَلْقية تنشأ معها، قال ﷺ: «إن الله كتب الَغْيَرة على النساء، فمن صبر منهن كان لها أجر شهيد»[١١٣]. كما قيل: بأن غَيْرَة المرأة على قدر محبتها[١١٤]. ويَغار الرجل كما تَغار المرأة، ولكن المرأة تظهر هذا الشعور سريعًا، بينما قد يتظاهر الرجل بعدم الَغْيَرة، مهما بلغت درجتها[١١٥].

والَغْيَرة إذا كانت في حدود ما يحب الله وما جبلت عليه المرأة فهي مشروعة، ما لم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو فعل[١١٦]. فالمرأة مثلاً تغار على زوجها أن يرتكب محرمًا، أو ينقص في حقها، أو أن يجور عليها لوجود امرأة أخرى يؤثرها عليها. وأما إذا كان الزوج مقسطًا عادلاً، وأدى إلى كل من الزوجتين حقهما. فعليها أن تحدّ من غَيْرَتها.

ومع غَيْرَة الزوجات على أزواجهن، فإنهن لا يمتنعن عن الزواج من الرجل الغَيور ويفضلنه على غيره، من ذلك مارُوِي عن هند بنت عتبة وأبيها قبل خطبتها وزواجها من أبي سفيان. فقد اشترطت هند على أبيها عتبة بن ربيعة في زواجها قائلة: إني امرأة قد ملكت أمري. فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليّ، قال: لك ذاك. فقال

---

[١١١] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، القاهرة، مطبعة الاستقامة (د.ت) ج٣، ص١٧١؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٢، ص٣٢٠-٣٢١.

[١١٢] أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل: مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث ١٥٦٥؛ الترمذي: سنن الترمذي، الديات، حديث١٣٤١.

[١١٣] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٩، ص٣٢٥.

[١١٤] القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٣٩.

[١١٥] أروى إبراهيم: أطفئي نيران الغيرة، ص٤٦.

[١١٦] جواد علي: المفصل، ج٥، ص٥٥٢.

www.mtenback.com

لها ذات يوم: إنه قد خطبك رجلان من قومك، ولست مسميًا لك واحدًا منهما، حتى أصفه لك.

أما الأول: ففي الشرف الصميم، والحسب الكريم، تخالين به هوجًا من غفلته حسن الصحابة، سريع الإجابة، إن تابعته تبعك، وإن مِلْتِ كان معك، تقضين عليه في ماله، وتكتفين برأيك عن مشورته.

وأما الآخر: ففي الحسب الحسيب، والرأي الأريب... عز عشيرته، يؤدب أهله ولا يؤدبونه.. شديد الغَيرة.. إن حاج فغير منزور، وإن نوزع فغير مقهور.

فقالت هند: أما الأول فسيد مضياع لكريمته.. وأما الآخر (وتقصد الغيور)، فبعل الحرة الكريمة. إني لأخلاق هذا لوامقة، وإني له لموافقة[117].

ولغيرة النساء على أزواجهن، فإن بعضهن كن يشترطن على الأزواج ألا يتزوجوا بأخرى، وذلك لتباغض الضرائر وتحاسدهن. وكانت المرأة تفجع بالضرة. وكانت العرب تقول: «خير الرجال الذي يكرم الحرة، ولا يجمع الضرة»[118]. وجعل عدي بن زيد المرأة التي لم يتزوج زوجها عليها من بنات الكرام، فقال[119]:

بَنَاتُ كِرَامٍ لَمْ يُرَبْنَ بِضَرَّةٍ دُمَىً شَرِقَاتٍ بِالعَبِيرِ رَوَادِعَا

ومن النساء اللواتي أردن ألا يكون لهن ضرة ماوية بنت عفرز التي رفضت أن تتزوج حاتمًا الطائي بعد أن اختارته وآثرته على خاطبيها، إلا على شرط أن يسرح زوجته، فأبى، فلما ماتت زوجته رضيته وتزوجته[120].

---

(117) القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم: الأمالي (د.ت) ج٢، ص١٠٤-١٠٥.

(118) الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢٣٥، نقلاً عن جمهرة الأمثال، ص١٦٢.

(119) الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢٣٥. نقلاً عن الأغاني، ج٢، ص١٥٠. روادع: فيهن أثر الطيب.

(120) الطائي، ورواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة، مطبعة المدني (د.ت) ص١١-١٢. وانظر القصيدة رقم ٦٨، ص٢٦٦-٢٦٩.

www.mtenback.com

وكذلك استوثقت حرقة البلوية من خاطبها مُرَّة بن عوف ألا يتزوج عليها، فحلف لها وأغلظ الحلف ألا يتزوج غيرها، فرضيته. ثم خرج بها حتى نظر نيران أهله، فقالت له حرقة: ما هذه النيران؟ فقال: أما هاتيك، فنار بني وامرأتي.

وكان زوجًا لمليكة بنت خصيلة المَرّية. فقالت: أغدرًا من أول ليلة؟ قال: ما غدرت بك، ولكني غدرت بسواك[١٢١]. وهو هنا لم يتزوج عليها فعلاً، ولكنه تزوجها على أخرى قبلها. فقد صدق وعده، و لم يغدر. والأمثلة على ذلك كثيرة.

وكانت المرأة تظهر غَيْرَتها في غير موارية. فقد أظهرت ليلى بنت الخطيم غَيْرَتها من نساء الرسول ﷺ قبل أن تتزوجه. فقد قيل: إن ليلى وهبت نفسها لرسول الله ﷺفقبل. ثم عادت إلى قومها تخبرهم، فقالوا لها: أنت امرأة غَيْرَى، وهو صاحب نساء، ارجعي فاستقيليه. فرجعت وقالت: إنك نبي الله، وقد أحل لك النساء، وأنا امرأة طويلة اللسان، لا صبر لي على الضرائر، فأقالها[١٢٢].

وتتضح غَيْرَة الزوجات على أزواجهن في قصة زوجة عبد الله بن رواحة التي كادت تقتله حين علمت أنه أصاب جارية له، إذ أخذت شفرة وأتته قائلة:

أفعلتها يا ابن رواحة ؟ فقال: ما فعلت شيئًا، فقالت: لتقرأنَّ قرآنًا، وإلا بعجتك بها. قال: ففكرت في قراءة القرآن وأنا جنب، فهبت ذلك، وهي امرأة غَيْرَى، وفي يدها شفرة لا آمن من أن تأتي بما قالت، فقلت:

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذا انْشَقَّ مَعْروفٌ مِنَ الصُبْحِ ساطِعُ

أَرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلوبُنا ... بِهِ مُوقِنَاتُ أَنَّ ما قالَ واقِعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالكافِرِينَ المَضاجِعُ

---

[١٢١] الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢٣٥. نقلاً عن الحماسة للتبريزي، ج١، ص٢٠٢.

[١٢٢] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة (١٣٥٨هـ) ج٨، ص١٨١.

www.mtenback.com

فلما سمعته ألقت السكين وقالت: آمنت بالله، وكذبت البصر. ثم ذهب ابن رواحة إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك. فضحك وأعجبه ما صنع[١٢٣].

وغارت امرأة أبي الأسود عليه في جارية اشتراها، وقالت له: لعمري لو كان يهمك أهلك وأمرهم، وعيالك، ما تلذذت بالقيان وضيعتهم، فقال أبو الأسود[١٢٤]:

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ لَوْمِي فَإِنَّمَا أُمَتِّعُ نفسًا قَدْ أُحِمَّ انْطِلاقِيا

ولغَيْرَة المرأة على زوجها، ومحاولتها الاستئثار به لنفسها، فإنها تتذرع ببعض الوسائل التي تعتقد أنها وسيلة ناجحة لجذب زوجها، والانفراد بقلبه ولو كانت ضربًا من ضروب الوهم. ومن جملة ما تفعله تعليق الخرز، وقراءة الرُّقى، وحرق البخور، واللجوء إلى السحر، تعتقد أنها وسائل ناجعة لجذب زوجها، والاستحواذ على قلبه. وقد قال أحد الشعراء بخرزة الدردبيس[١٢٥]:

قَطَعْتُ القَيْدَ وَالخَرَزَاتِ عَنِّي فَمَنْ لِي مِنْ عِلاَجِ الدَّرْدَبِيْسِ

كما استعملت المرأة خرزة أخرى تعرف بالقرزحلة [١٢٦] للسبب عينه، وقال ابن بري عن هذه الخرزة، إنها لا تنفع العجائز[١٢٧]:

---

[١٢٣] ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: أخبار النساء، القاهرة، مطبعة التقدم العلمية، ط١ (١٣١٩هـ) ص٤٤؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢١٤-٢١٥.

[١٢٤] أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو: ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١ (١٩٧٤م) ص١٠٣. ويقصد حان وقدر انطلاقيا.

[١٢٥] الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢١٤. والدردبيس: خرزة سوداء، كأن سوادها لون الكبد، تشف مثل العنبة الحمراء. تتحبب بها المرأة إلى زوجها. وتوجد في قبور عاد. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣٨٤.

[١٢٦] القرزحلة: خرزة تلبسها المرأة ليرضى عنها زوجها، ولا يتزوج غيرها، ولا يشرك معها أحدًا. ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٧٢.

[١٢٧] الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢١٤ نقلاً عن ابن منظور لسان العرب، ج١٤، ص٧٢.

www.mtenback.com

لاَ تَنْفَـعُ القَرْزَحْلَـةُ العَجَـــائزا إذا قَطَعْـنَ دُونَهـــا اَلمَفَـــاوِزا

و لم يكن الرجل أقل غَيْرَة على المرأة من المرأة على زوجها. ولشدة غَيْرَته، فإنه كان يعاف الزواج من المرأة التي تجود بوصلها، ويتعلق بالممتنعة التي لا تأتي ريبة، قـــال الشاعر السليك بن السلكة[١٢٨]:

يَعَافُ وِصَـــالَ ذَاتِ البَـــذْلِ قَلْبِـــي وَأَتْبَـــعُ المُمَنَّعَـــةَ النَّـــــورَا

ويحب الزواج من المرأة الخجول التي لا ترفع عينها ولا تنظـــر إلى الآخريـــن، ولذلك فإن الشعراء أشادوا بالمرأة المستكملة لصفات الأنوثة، والـــتي إذا ضحكـــت تبسمت تبسمًا فقط قال أوس بن حجر[١٢٩]:

نَواعِمُ مـــا يَضْحَكْـــنَ إلاَّ تَبَسُّـــمًا إلى اللَّهْوِ قَدْ مَالَتْ بِهِنَّ السَّـــوالِفُ

وأعجب الشنفرى بزوجته التي أدخلت الاطمئنان إلى قلبه، وخففـــت بحســـن تصرفها من غَيْرَته، ذلك أنها كانت تمشي واضعة قناعها، ولا تتلفت لترى الآخريـــن، بل تجعل عينيها إلى الأرض، كأنها تبحث عن شيء ضـــائع. وإذا كلمـــت رجـــلاً أوجزت، فقال يصفها[١٣٠]:

لَقَدْ أَعْجَبْتنـــي لا سَـــقُوطًا قِنَاعُهـــا إذَا ما مَشَـــتْ وَلاَ بِـــذَاتَ تَلَفُّـــتِ

كَأَنَّ لَهَـــا فِي الأَرضِ نِسْـــيًا تَقُصُّـــهُ عَلى أَمِّهـــا وَإِنْ تُكَلِّمْـــكَ تَبْلَـــتِ

---

[١٢٨] الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٣٥٥ نقلاً عن الأغاني، ج٤، ص٣٦٤.

[١٢٩] أوس بن حجر: ديوان أوس بن حجر، تحقيق: رودلف جيير (د.م.ط) (١٩٨٢م) ص١٤؛ الحـــوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٣٦١.

[١٣٠] المفضل الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد: المفضليات، مع شرح وافر لأبي محمد القاسم بن بشـــار الأنباري، عني بطبعه كارلوس يعقوب لايل، بيروت، مطبعـــة الآبـــاء اليســـوعيين (١٩٢٠م) ج١، ص١٠٧؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٣٦١ نقلاً عن الأغاني، ج٢١، ص٩١.

www.mtenback.com

كما أن غَيْرَة الرجل على زوجته تبدو واضحة من أنه كان يريدها لنفسه حين تكون زوجة له ويكره بعد طلاقها ومفارقته إياها أن تكون حليلة لغيره. حتى إن بعضهم يهدد أهلها إن حاولت الزواج بعده، وربما راضاهم بالمال لكي لا يجيزوا لها الزواج. وقد نهى الإسلام عن ذلك[١٣١]. ومن الرجال الذين كانوا يمنعون مطلقاتهم الزواج بعد الطلاق قبل ظهور الإسلام الصحابي سعد بن عبادة، وقد وصفه الأنصار لرسول الله ﷺ قائلين: إنه رجل غيور «والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرًا، وما طلق امرأة له قط، فاجترأ رجل منا على أن يتزوجها من شدة غَيْرَته»[١٣٢].

وقد اشتهر سعد بن عبادة بَغْيرَته، وقال يومًا في مجلس رسول الله ﷺ: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح[١٣٣]. فتعجب الحاضرون من قوله. فقال الرسول ﷺ: أتعجبون من غَيْرَة سعد. لأنا أغير منه، والله أغير مني»[١٣٤].

ولما نزلت الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾[١٣٥]. قال سعد بن عبادة، هكذا نزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار ألا تسمعون إلى ما يقول سيدكم! قال سعد: إنى لأعلم أنها حق، وأنها من الله تعالى، ولكني قد تعجبت أني لو وجدت

---

[١٣١] جواد علي: المفصل، ج٥، ص٥٥٢.

[١٣٢] ابن حجر: فتح الباري، ج٩، ص٣٢١.

[١٣٣] أي غير ضارب بصفحة السيف وعرضه، بل أضربه بحده لأقتله.

[١٣٤] البخاري: صحيح البخاري الحدود، حديث رقم ٦٣٤٠، التوحيد حديث ٦٨٦٦؛ مسلم: صحيح مسلم، اللعان حديث رقم ٢٧٥٥، ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، ج٣، ص٤٣؛ ابن حجر: فتح الباري، ج٩، ص ٣١٩.

[١٣٥] سورة النور: ٤.

www.mtenback.com

لكاعًا تفخذها رجل، لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته[١٣٦].

ومن الذين أصابتهم الغَيْرَة بعد طلاق زوجاتهم، واستمروا في حبها بعد طلاقها، وتمنوا ألا تكون لزوج آخر، الشاعر العجلاني [١٣٧]، الذي طلق زوجته هندًا، وشعر بأنه لم يعد يملك زمام أمرها، وهي محرم عليه. وكان يتمنى ألا تتزوج وألا يراها مع غيره، فقال[١٣٨]:

أَلاَ إِنَّ هِنْدًا أَصْبَحَتْ مِنْكَ مَحْرَمًا ... وَأَصْبَحْتَ مِنْ أَدْنَى حُمُوَّتِها حَمَّا

فَأَصْبَحْتَ كالمَقْمُورِ جِفْنُ سِلاَحِهِ ... يُقَلِّبُ بِالكَفَّيْنِ قَوْسًا وَأَسْهُمَا

وإذا كان بعضهم لا يريد أن تتزوج زوجته إذا طلقها، فإن آخرين لا يريدونها أن تتزوج بعد وفاتهم ويعدون ذلك نوعًا من الخيانة والغدر، فهذا ابن المعتز يقول[١٣٩]:

لاَ تَخُونِينِي إِذَا مِتُّ وَقَدْ ... مَاتَتْ نُعَاتِي

إِنَّمَا الوَافِي بِعَهْدِي ... مَنْ وَفَى بَعْدَ مَمَاتِي

ومثله غسان بن جهضم الذي كان متزوجًا من ابنة عمه، وكانت امرأة فاضلة وجميلة، فلما مرض خشي أن يموت، فتتزوج من بعده، فقال لها[١٤٠]:

أَخْبِرِينِي الَّذِي تُرِيدِينَ بَعْدِي ... وَالَّذِي تَصْنَعِين يَا أُمَّ عُقْبَهْ

تَحْفَظِينِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي لِمَا قَدْ ... كَانَ مِنِّي مِنْ حُسْنِ خُلْقٍ وَصُحْبَهْ

---

[١٣٦] أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، مسند بني هاشم، حديث رقم ٤٠٢٤؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٩، ص٣٢١.

[١٣٧] الشاعر العجلاني: هو عبد الله بن عجلان من عشاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقًا.

[١٣٨] ابن قتيبية: الشعر والشعراء، ص ٥١٨.

[١٣٩] ابن المعتز، عبد الله بن محمد: ديوان ابن المعتز، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر (د.ت) ص١١٠.

[١٤٠] المرزباني: أشعار النساء، ص٢٠٢-٢٠٣.

www.mtenback.com

أَمْ تُرِيدِيـــنَ ذَا جَمَـــالٍ وَمُلْـــــكٍ ... وَأَنا فِي التُّرابِ[١٤١] فِي سَحْقِ غُرْبَـــةْ

فأجابته:

قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُـــولُ وَمَـــا قَـــدْ ... خِفْتَ مِنْهُ غَسَّانُ مِـــنْ أَمْـــرِ عُقْبَـــهْ

أَنَا مِـــنْ أَحْفَـــظِ النِّسَـــاءِ وَأَرْعَـــاَ ... هُ لِما قَدْ أَوْلَيْتَ مِنْ حُسْنِ صُحْبَـــهْ

سَوْفَ أَبْكِيكَ ما حَيِيـــتُ بِشَـــجْوٍ ... وَمَـــراثٍ أَقُولُهَـــا وَبِنَدْبَـــهْ

فلما سمع ذلك أنشأ يقول[١٤٢]:

أَنَـــا واللهِ واثِـــقٌ بِـــكِ لَكِـــنْ ... احتياطًـــا أَخَـــافُ غَـــدْرَ النِّســـاءِ

بَعْدَ مَوْتِ الأَزْواجِ يا خَيْرَ مَنْ عُـــو ... شِرَ فَارْعَي حَقِّـــي بِحُسْـــنِ الوَفَـــاءِ

إِنَّنِي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي العَهْـــ ... ـدَ فَكُونِي إِنْ مِـــتُّ عِنْـــدَ الرَّجَـــاءِ

ومن مظاهر غَيْرَة الرجل والتطرف فيها أن بعضهم كان يأنف من الزواج مـــن امرأة ذات جمال فائق، خشية أن يكون جمالها سببًا في النظر إليها وإغرائهـــا. قـــال الشاعر[١٤٣]:

وَلَنْ تُصادِفَ مَرْعَـــىً مُونِقًـــا أَبَـــدًا ... إِلاَّ وَجَـــدْتَ بِـــهِ آثَـــارَ مَـــأْكُولِ

وكان بعض الأزواج يغار على المرأة من نفسها، ومما قيل في ذلك أن رجلاً كان في طريق مكة، وكانت ترافقه جارية في المحمل وقد شد عينيها، وكشـــف الغطـــاء، فسأله بعضهم، لم فعلت ذلك؟ قال: إنما أخاف عليها من عينيها لا عيون الناس[١٤٤].

---

[١٤١] جاءت الكلمة في الشعر (النيران). ووجدت أن الأصح في التراب. انظر المرزباني أشعار النساء، ص٢٠٢.

[١٤٢] المرزباني: أشعار النساء، ص٢٠٢ – ٢٠٣

[١٤٣] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٥٢.

[١٤٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٤، ص ٨٧

www.mtenback.com

ومثل هذا الرجل ضعيف الثقة بنفسه، ويرى أنه لا يملأ عيني جاريته، ولذلك فإنه يخشى عليها من أن ترى غيره، أو أنه لشدة غَيْرَته لا يريدها أن ترى أحدًا، وهذا ضرب من الوسوسة الممقوتة. كما قال عقيل بن علفة: لأن ينظر إلى ابنتي مئة رجل خير من أن تنظر إلى رجل واحد[١٤٥]. وقال سعيد بن مسلم لأن يرى حرمتي ألف رجل على حال تكشف منها وهي لا تراهم، أحب إليَّ من أن ترى حرمتي رجلاً واحدًا غير منكشف[١٤٦].

وقد غار أبو حذيفة من مولاه سالم على زوجته، ولذلك أمر رسول الله ﷺ امرأة أبي حذيفة أن ترضع سالمًا حتى تذهب غَيْرَة أبي حذيفة فأرضعته[١٤٧].

وغار رجل على امرأته من القاضي الشعبي؛ لأنه حكم لها. وقد سأل الخليفة عبد الملك بن مروان الشعبي عن ذلك قائلاً: ياشعبي بلغني أنه اختصم إليك رجل وامرأته فقضيت للمرأة على زوجها، فقال فيك شعرًا، فأخبرني بقصتها وأنشدني الشعر الذي قاله. قال الشعبي: حكمت للمرأة إذ توجه لها القضاء، فقام الزوج وهو يقول[١٤٨]:

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا ... رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

وَمَشَتْ مَشْيًا رُوَيْدًا ... ثُمَّ هَزَّتْ مَنْكِبَيْهَا

فَتَنَتْهُ بِقَوَامٍ ... وَبَخَطَّيْ حَاجِبَيْهَا

وَبَنَانٍ كَالْمَدَارِي ... وَاسْوِدَادِ مُقْلَتَيْهَا

فَقَضَى جَوْرًا عَلَيْنَا ... ثُمَّ لَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا

---

[١٤٥] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص١٩.

[١٤٦] الجاحظ: عمرو بن بحر: الحيوان، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢ (د.ت) ج١، ص١٧٠—١٧١.

[١٤٧] النسائي: سنن النسائي، باب النكاح، حديث رقم ٣٢٦٩.

[١٤٨] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٢٢-٢٣. والمرأة هي أم جعفر بنت عيسى بن حراء.

www.mtenback.com

ومثل وسوسة بعض الرجال في الغيرة وسوسة المرأة أيضًا ومنها أن بعض النساء يغرن على أنفسهن وشرفهن أكثر من غَيْرَة الرجل عليهن، ويبالغن في ذلك. مثل تلك التي دخل عليها خصي لزوجها فرأى شعرها فحلقت رأسها وقالت: ما كان ليصحبني شعر نظر إليه غير محرم[١٤٩].

وتبلغ الغَيْرة ذروتها حين يغار الرجال على زوجاتهم من أبنائهم، وخاصة إذا شعر الرجل بأنها ترى أن أبناءه يسدون مسده في رعايتها والعناية بها، وأنها تصبح في غنى عنه، فلا تحتاج إليه، قال سلمى بن ربيعة[١٥٠]: يكذب ذلك، ويُدل بأهميته وأنه لايكفي عنه أحد غيره حتى أبناؤه[١٧٨]:

حَلَّتْ تُماضِرُ غُرْبةً فَاحْتَلَّتِ ... فَلْجًا وَأَهْلُكَ بِاللِّوَى فَالحلَّةِ

فَكَأَنَّ في العَيْنَيْنِ حَبَّ قَرَنْفُلٍ ... أَوْ سُنْبُلاً كُحِلَتْ بِهِ فَانْهَلَّتِ

زَعَمَتْ تُماضِرُ أَنَّنِي إمّا أَمُتْ ... يَسْدُدْ أَبِينُوها الأَصاغِرُ خُلَّتِي

تَرِبَتْ يَدَاكِ وَهَلْ رَأَيْتِ لِقَوْمِهِ ... مِثْلِي عَلى يُسْرِي وحِينَ تَعِلَّتِي

رَجُلاً إذا ما النَائِباتُ غَشِينَهُ ... أَلْفَى لِمُعْضِلَةٍ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

وَإذا العَذارى بالدُّخَانِ تَقَنَّعَتْ ... واسْتَعْجَلَتْ هَزْمَ القُدُورِ فَمَلَّتِ

دَارَتْ بِأَرْزَاقِ العُفَاةِ مَغالِقٌ ... بِيَدَيَّ مِنْ قَمْعِ العِشارِ الجِلَّةِ

وتبلغ الغَيْرة بالرجل أحيانًا إلى درجة منع المرأة من ممارسة بعض أساسيات الحياة، فيحرمها اللباس والمال، والعلم ويحجر عليها. وذلك من غلبة الشيطان وضعف

---

[١٤٩] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٤٧.

[١٥٠] هو ركاض الدبيري.

[١٧٨] أبو زيد الأنصاري: النوادر في اللغة، ص١٢١؛ القالي: الأمالي، ج١، ص ٨١.

www.mtenback.com

ثقة الرجل في نفسه وزوجه. فالعرض والشرف يجب أن يغار عليه الرجل وتغار عليه المرأة، وحتى تغار على شرفها وعرضها يجب أن تكون الغيرة منها على نفسها وهي التي بسلوكها تصون سمعتها، والشواهد كثيرة على أن المرأة إذا وضعت فيها الثقة كانت أشد غيرة وبعدًا عن مواطن الزلل، وذلك حين يترك لها الرأي ويرفع عنها الحجز، فالعاقلة من النساء تبعد نفسها عما يثير غيرة زوجها إذا عرفت منه مبالغة في الغيرة مثلما درأت أسماء بنت أبي بكر غيرة زوجها الزبير بن العوام، فقد مرّ بها الرسول ﷺ وهي تسير على قدميها وتنقل النوى من أرض الزبير البعيدة إلى بيتها[١٥١]، فدعاها إلى الركوب معه، وكان معه جماعة من الأنصار، ففضلت المسير على قدميها حتى لا تثير غيرة زوجها [١٥٢].

وكان عبد الله بن طاهر يغار على نسائه من أن يراهن أحد، أو أن يقوم بخدمتهن رجل ولو كان خصيًا. ولما سئل في ذلك وضح السبب قائلاً: هم مع النساء رجال، ومع الرجال نساء [١٥٣].

وتعدد من كان يرى التضييق على المرأة في اللباس، ومنهم الشاعر عقيل بن علفة، وابن الأعرابي الذي كان يقول: النساء خلقن من ضعف، فداووا ضعفهن بالسكوت، وعوراتهن بالبيوت[١٥٤]. ويرى الجاحظ أن المرأة متى كثر خروجها فإنها

---

[١٥١] تبعد عن منزلها ثلثي فرسخ.

[١٥٢] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (٦١-٨٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢ (١٩٨٧م) ص٣٥٥؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٩، ص ٣١٩-٣٢٠.

[١٥٣] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١ (١٩٩٢م) ج١١، ص١٥٩.

[١٥٤] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٣٢.

www.mtenback.com

قد ترى من هو على شكل طبعها، وتفضله على زوجها، ولوكان زوجها أتم حسنًا، وذلك لأنها ترى أن ما لا تملكه أطرف مما تملكه، ولكان ما لم تنله و لم تستكثر منه أشد اشتغالاً وأشد لها اجتذابًا، ولذلك قال الشاعر[١٥٥]:

وَلَلْعَيْنُ مَلْهَـىً بِـالتِّلاَدِ وَلَـمْ يَقُـدْ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كاقْتِيادِ الطَّرائـفِ

ويتابع الجاحظ ذكر رأي الغَيور في انسياق المرأة، وسرعة تأثير الكلام الجميل عليها، فيقول: أنها لو رأت رجلاً وضيع النسب، وفيه الكثير من العيوب، لكنه تمكن من أن يكلمها كلامًا جميلاً استمعت له، فأثر فيها، لتمكن من نقض طباعها، وفسخ عقدها ولو كانت أبرع الخلق جمالاً، وأكملهم كمالاً، وأملحهم ملحًا، فإن تهيأ مع ذلك من هذا المتعشق أن تدمع عينه، احتاجت المرأة «أن يكون معها ورع أم الدرداء، ومعاذة العدوية، ورابعة القيسية، والشجاء الخارجية»[١٥٦].

ويصف امرؤ القيس حرص الغَيور على الحجر على المرأة في المنزل الآمن، حتى لا يصل أحد إليها بقوله[١٥٧]:

ألاَ يَحْبِسُ الشَّـيْخُ الغَيـورُ بَناتَـهِ مَخَافَـةَ جَنْـيِ الشَّـمائل مُخْتَـالِ

ووافقه جران العود وأكد على ضرورة حجر النساء، وذلك بتعريتهن ومنع المال عنهن، وعن أبنائهن الصغار، وذلك غَيْرَة عليهن وعدم الثقة بهن، فقال[١٥٨]:

فلا تَأْمَنوا مَكْرَ النِّسـاءِ وأَمْسِـكُوا عُرَى المَالِ عَنْ أَبْنـائِهِنَّ الأَصـاغِرِ

فَإِنَّكَ لَمْ يُنْذِرْكَ أَمْـرًا تَخافُـهُ إِذَا كُنْتَ مِنْهُ جَـاهِلاً مِثْـلُ خَـابِرِ

---

[١٥٥] الجاحظ: الحيوان، ج١، ص١٧٠.

[١٥٦] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص٣٨٠. ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٥٣.

[١٥٧] الجاحظ: الحيوان، ج١، ص ١٦٩-١٧٠.

[١٥٨] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٥٢١.

www.mtenback.com

و لم يتخلف رأي ابن المقفع عن غيره، فقد قال فيما يتعلق بالنساء وطريقة معاملتهن: «وأكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب خير لهن من الارتياب، وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن، فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل، وإياك والتغاير في غير موضع غيرة، فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم»[١٥٩].

ولاشك أن الثقافة العربية تمجُد الغَيْرَة وتدعو إليها، والجاحظ وابن المقفع وغيرهما يصدرون في آرائهم عن جو هذه الثقافة، والإدراك الشائع في زمانهم، والمرأة في ذلك الزمان صوت خامد، أما طبيعة الأشياء فإن الرجل صنو المرأة، وهنّ شقائق الرجال، ولو كان الرجال فضلاء لما وجدت المرأة التي تمارس غير الفضيلة. والواجب أن يطلب من الرجل مثلما يطلب من المرأة ليكون عفًّا غيورًا، وقد أدرك جثّامة بن عقيل هذا المعنى واستغرب لماذا لا يلقى اللوم على الرجل والمرأة ولِمَ يميز بينهما ؟ فقال مستنكرًا موقف المجتمع المتحيز للرجل[١٦٠]:

أَيُعْذَرُ لاَهِيْنَا وَيُلْحَيْنَ فِي الصِّبَا ... وَمَاهُنَّ وَالفِتْيَانُ إلاَّ شَقَائِقُ

وقد تؤدي الغيرة بالرجل إلى الشك في المرأة وإخلاصها وتدفعه إلى وضع الحجاب بينها وبين الناس وقد صور عبيد الله بن قيس الرقيات ذلك بقوله[١٦١]:

لَهَا بَعْلٌ غَيُورٌ قَدْ ... عِدٌ بِالبَابِ يَحْجُبُهَا

يَرَانِي هَكَذا أَمْشِي ... فَيُوعِدُهَا وَيَضْرِبُهَا

---

[١٥٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٤، ص٧٨.

[١٦٠] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ١٩.

[١٦١] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٥٣ نقلاً عن ديوان ابن قيس الرقيات، ص١٢٢.

www.mtenback.com

وتدفع الغَيْرة بالزوج إلى الشك في أخلاق زوجته، وتوجيه الاتهام إليها. فقد تزوج الحارث بن عباد امرأة من بني عمه، فأتته بولد أشقر، فأنكره وخرج مغضبًا فلم يأتها أيامًا، ثم دخل عليها، فقامت إليه كما تقوم المرأة إلى بعلها، فصاح بها وانتهرها ثم أنشأ يقول:

لاَ تَمْشُطِي رَأْسِي وَلا تَفْلِيْنِي ... وَاقْتَرِبي هَلُمَّ أَخْبِرِيْنِي

مَا بَالُهُ أَحْمَرَ كَالهَجِيْنِ ... خَالَفَ أَلوانَ بَنِيَّ الجُونِ

فَغَضِبَتْ زوجته، واجتذبت يدها من يده، ثم قالت:

إِنَّ لَهُ مِنْ قَبْلِي أَجْدَادًا ... بِيْضُ الوُجُوهِ كَرَمًا أَنْجَادا

ما ضَرَّهُمْ يَوْمَ لَقُوا شَدَّادا ... وَكَسَرُوا فِي صَدْرِهِ الأَعْوادا

أَلاَّ يَكُونَ لَوْنُهُمْ سَوَادَا

فوثب إليها وترضاها حتى رضيت[١٦٢].

وقد ارتاب زوج في زوجته حين ولدت له غلامًا أسود. فجاء إلى رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلامًا أسود. فقال ﷺ: «هل لك من إبل»؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حُمر، قال ﷺ: أفيها أورق؟[١٦٣] قال: نعم، قال: فأنّى كان ذلك؟ قال: أراه عِرْق نزعه قال: فلعل ابنك هذا نزعه العرق؟[١٦٤]

---

[١٦٢] المرزباني: أشعار النساء، ص١٧١-١٧٢.

[١٦٣] البعير الأورق الذي جمع بين السواد والبياض. وقول الأعرابي «أراه عرق نزعة» أي أن أصلاً من أصول نسبه جذبه إليه. والأعرابي هو ضمضم بن قتادة.

[١٦٤] القسطلاني، أحمد بن محمد: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القاهرة، طبعة بولاق، ج١٠، ص٣٨.

www.mtenback.com

وقد دفع رسول الله ﷺ التهمة عن هذه المرأة، واتقى غَيْرَة هذا الرجل ووقى زوجته شرها. وقيل: إن عجائز من قبيلة المرأة شهدن بأنه كان للمرأة جدة سوداء[١٦٥]. وهذا الموقف صورة من أدب الإسلام وخلق العرب.

والغَيْرَة الشديدة على الزوجة قد تدفع بالزوج إلى ارتكاب الجريمة أحيانًا، بقتل من يشك به، أو أنه يكتفي بالضرب، والعقوبة الجسدية، وقد يقوم بهذه المهمة أقرباء المرأة، فيؤذون من يحاول مس شرفهم حتى لو كان يشبب تشبيبًا، قال جميل بثينة يذكر تهديد بني عم بثينة له بالقتل[١٦٦]:

إِنَّ بَنِي عَمِّكِ أَوْعَدُونِي
أَنْ يَقْطَعُوا رَأْسِي إِذا لَقُونِي
وَيَقْتُلُونِي ثُمَّ لا يَدُونِي
كَلاَّ وَرَبِّ البَيْتِ لَوْ لَقُونِي
شَفْعًا وَوِتْرًا لَتَواكَلُونِي

كما ذكر كثير عزة كيف يتصرف الغيور ويحاول ضرب المرأة إذا رأى من يظن أنه يتعلق بها، أو أنها تنظر إليه فقال[١٦٧]:

حَلِيلَةُ قَذَّافِ الدِّيَارِ كَأَنَّهُ ... إِذا ما تَدَانَيْنَا مِنَ الجَيْشِ هَارِبُ
إِذا ما رَآنِي بَارِزًا حَالَ دُونَهَا ... بِمِخْبَطَةٍ يا حُسْنَ ما هُوَ ضَارِبُ

---

[١٦٥] ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٢٧٤؛ عفيفي: المرأة العربية، ج٢، ص٢٥.

[١٦٦] جميل بثينة، جميل بن معمر العذري: ديوان جميل بثينة، شرحه: أشرف أحمد عدرة، بيروت، عالم الكتب، ط١ (١٩٩٦م) ص٢٢٣.

[١٦٧] كثير عزة: كثير بن عبد الرحمن: ديوان كثير عزة، جمع وشرح: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة (١٩٧١م) ص١٥٥؛ ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٥٢.

www.mtenback.com

وإذا كان بعض الرجال قد شك في النساء وأخلاقهن، فإن آخرين وجهوا شكوكهم إلى الرجال، ورأوا أنه لا يمكن أن يؤمن الرجال على النساء مهما كانت درجة الثقة بهم، ومهما كانت درجة القرابة، قال الشاعر[١٦٨]:

لا يَـأْمَنَنَّ عَلى النِّساءِ أَخٌ أَخًا ... مَا فِي الرِّجالِ عَلى النِّساءِ أَمِينُ

إِنَّ الأَمِينَ وَإِنْ تَحَفَّظَ جَهْدَهُ ... لابُدَّ أَنَّ بِنَظْرَةٍ سَيَخُونُ

وهناك ما يثير غيرة الرجل على زوجته، مثل نظرات الرجال المشبوهة، وما يتبعها. كما حدث لسعيد بن بيان التغلبي حين حضر الأخطل إلى بيته، فرأى سعيدًا رجلاً دميمًا أعور ذا مال كثير، وكان سيد بني تغلب في الكوفة. وكانت زوجته برة بنت أبي هانئ التغلبي من أجمل النساء، وأحسن سعيد معاملة الأخطل وأكرمه، فجعل الأخطل ينظر إلى وجه برّة وجمالها وإلى دمامة زوجها وعوره. فتعجب منها، ومن صبرها عليه، فقال له سعيد: يا أبا مالك: أنت رجل تدخل على الخلفاء والملوك، وتنظر إلى هيئتهم، وتأكل من طعامهم وتشرب من شرابهم، فأين ترى هيئتنا من هيئتهم ؟ وهل ترى عيبًا تُنَبِّهنا عليه؟ فقال له الأخطل: ما لبيتك عيب غيرك ! فقال له سعيد: أنا والله أحمق منك يا نصراني، حين أدخلتك منزلي، وطرده، فأنشد الأخطل مظهرًا حبه لبرة زوجة سعيد، قائلاً[١٦٩]:

وَكَيْفَ يُداوِينِي الطَّبِيبُ مِنَ الجَوَى ... وَبَرَّةُ عِنْدَ الأَعْوَرِ ابْنِ بَيَانِ

يُنَهْنِهُنِي الأَحْراسُ عَنْهَا وَلَيْتَنِي ... قَطَعْتُ إِلَيْهَا اللَّيْلَ بِالرَّسَفَانِ

---

[١٦٨] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٣٨.

[١٦٩] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٣٥٦.

www.mtenback.com

الغيرة بين الضرائر:

الضَّرَّة من الضُّر، وهو ضد النفع، وضار رجل امرأته، أخذ عليها ضَرَّة، أي زوجة أخرى[١٧٠] واشتهرت الغيرة بين الضرائر؛ لأنهن زوجات يشتركن في زوج واحد، فكل منهن تريده أن يكون لها وحدها. وقد شبه الشاعر أبو ذؤيب الهذلي القدور ونشيجها، بصدور الضرائر، وما يعتلج فيها من ملاحاة، وماتنتج من صخب وخلاف وثورة غضب فقال[١٧١]:

لَهُنَّ نَشِيجٌ بِالنَّشِيلِ كَأَنَّهَا ضَرَائِرُ حَرْمِيٍّ تَفَاحَشَ غَارُهَا

ولشهرة الغيرة بين الضرائر ضرب بها المثل، حتى إن الشاعر بشر بن أبي خازم لم يجد ما يشبه به العداء المستحكم بين قومه وقبيلة باهلة إلا بداء الضرائر. وقد قال هذا الشعر بمناسبة قتل باهلة لرجل من قبيلته اسمه بر بن عاهان، فقال[١٧٢]:

إِنَّا وَبَاهِلَةَ بْنَ أَعْصُرَ بَيْنَنَا دَاءُ الضَّرَائِرِ بُغْضَةٌ وَتَنَافُ

وقال أبو الأسود أيضًا مشبهًا حسد القوم للفتى حين لم يتمكنوا من نوال سعيه بضرائر الحسناء اللائي يقلن إن وجهها دميم[١٧٣]:

حَسَدُوا الفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالْقَوْمُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ

كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَدَمِيمُ

وَالْوَجْهُ يُشْرِقُ فِي الظَّلامِ كَأَنَّهُ بَدْرٌ مُنِيرٌ وَالنِّسَاءُ نُجُومُ

---

[١٧٠] معلوف، لويس: المنجد، بيروت المطبعة الكاثولوكية، ط١٣ (د.ت) ص٤٦٢-٤٦٣.

[١٧١] ديوان الهذليين، ج١، ص٢٧.

[١٧٢] بشر بن أبي خازم: ديوان بشر بن أبي خازم، ص ١٦٠.

[١٧٣] أبو الأسود الدؤلي: ديوان أبي الأسود، ص ١٦٥.

www.mtenback.com

كما شبه خداش بن زهير التمادي في الفخر حتى أهلك القوم، كما تهلك الغيرة الضرائر فقال[١٧٤]:

تَمارأْتُمُ فِي الفَخْرِ حَتَّى هَلَكْتُمُ كَما أَهْلَكَ الغَارُ النِّساءَ الضَّرَائِرَ

وبسبب شدة الغيرة بين الضرائر، فَإنّ الشغب بينهن يكون مستمرًا، وكثيرًا ما تشغب الزوجة الأولى، وتحاول مضايقة ضرتها الجديدة حتى تبعدها، وقد يكون العكس من ذلك فتشغب الزوجة الثانية، وتسبب الخلاف. وقد يكون الشغب من الاثنتين. ومن الأمثلة على شغب الضرة الأولى ما فعلته ورثة بنت ثعلبة، زوجة ذهل ابن شيبان التي كان زوجها مزواجًا، وكانت ورثة كلما تزوج زوجها تشغب على ضرتها وتضربها، حتى تمل وتترك. فلما تزوج رقاش بنت عمرو، تحرشت بها ورثة، ووثبت عليها لتضربها، فأمسكتها رقاش وغلبتها، فقالت ورثة[١٧٥]:

يا وَيْحَ نَفْسِي اليَوْمَ أَدْرَكَنِي الكِبَرْ أَبْكِي عَلَى نَفْسِي العَشِيَّةَ أَوْ أَذَرْ

وَاللهِ لَوْ أَدْرَكْتِ فِيّ بَقِيَّةً لَلَقِيْتِ ما لاَقَى صَواحِبُكِ الأُخَرْ

ولكثرة المشكلات التي يسببها الضرائر بغيرتهن، وما ينتج عنها من خلاف وصراع وشجار، فإن الرجل إذا تزوج اثنتين وقع في كربٍ وهمّ وعزبت عنه راحة البال، ويتمنى أنه لم يفعل، قال أعرابي يصف بلواه من زواج اثنتين، ويوصي غيره بالعزوبة[١٧٦]:

تَزَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ لِفَرْطِ جَهْلِي بِما يَشْقَى بِهِ زَوْجُ اثْنَتَيْنِ

---

[١٧٤] القالي: الأمالي، ج٢، ص٦٦. والغار: الغيرة جاءت في المصدر تماء رتم.

[١٧٥] المفضل الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد: أمثال العرب، القسطنطينية، مطبعة الجوائب (١٣٠٠هـ) ص٥٥.

[١٧٦] القالي: الأمالي، ج٢، ص٣٥-٣٦؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢٤٢. وضرب في عراض الجحفلين: تعرض للموت والاستشهاد.

www.mtenback.com

فَقُلْتُ أَصِيرُ بَيْنَهُمَا خُرُوفًا ... أُنَعَّمُ بَيْنَ أَكْرَمَ نَعْجَتَيْنِ

فَصِرْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وَتُمْسِي ... تَدَاوَلُ بَيْنَ أَخْبَثِ ذِئْبَتَيْنِ

رِضَا هَذِي يُهَيِّجُ سُخْطَ هَذِي ... فَمَا أَعْرَى مِنْ إِحْدَى السُّخْطَتَيْنِ

وَأَلْقَى فِي المَعِيشَةِ كُلَّ شَرٍّ ... كَذَاكَ الضُّرُّ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ

لِهَذِي لَيْلَةٌ وَلِتِلْكَ أُخْرَى ... عِتَابٌ دَائِمٌ فِي اللَّيْلَتَيْنِ

فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَبْقَى كَرِيمًا ... مِنَ الخَيْرَاتِ مَمْلُوءَ اليَدَيْنِ

فَعِشْ عَزَبًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْهُ ... فَضَرْبًا فِي عِرَاضِ الجَحْفَلَيْنِ

وقد يؤدي الزواج على الزوجة الأولى إلى رفضها البقاء مع زوجها، وذلك لشدة غيرتها ولشعورها بالمهانة. فأم أوفى زوجة زهير بن أبي سلمى تزوج زوجها عليها، بعد أن توفي أبناؤها، وأراد زهير الولد. فغارت غَيْرَة شديدة، ورفضت البقاء مع زوجها، وطلبت الطلاق، فاضطر زهير إلى تنفيذ رغبتها مع أنه يحبها، ظنًا منه أنها ملت عشرته، فأنشد في ذلك شعرًا ذكر فيه أن طول العشرة يؤدي إلى البغض فقال[١٧٧]:

لَعَمْرُكَ وَالخُطُوبُ مُغَيِّرَاتٌ ... وَفِي طُولِ المُعَاشَرَةِ التَّقَالِي

فَقَدْ بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى ... وَلَكِنْ أُمُّ أَوْفَى لاَ تُبَالِي

فَأَمَّا إِنْ ظَعَنْتِ فَلاَ تَقُولِي ... لَدَى صِهْرٍ أُذِلْتِ وَلَمْ تُذَالِي

ومع أن من الغَيْرَة تشتعل بين الضرائر، فإنهن كن أحيانًا يتفقن على الزوج، ويسببن له الإزعاج، قال الشاعر جران العود مخاطبًا زوجتيه اللتين اتفقتا عليه[١٧٨]:

---

[١٧٧] زهير بن أبي سلمى المزني: ديوان زهير بن أبي سلمى، بشرح ثعلب، القاهرة، دار الكتب (١٩٤٤م) ص٣٤٢.

[١٧٨] جواد علي: المفصل، ج٩، ص٤٨٩.

www.mtenback.com

عَمَدْتُ لِعَـــوْدٍ فَـالتَحيْتُ جِرانَـهُ وَلَلْكَيْسُ أَمْضى فِي الأُمُورِ وَأَنْجَـحُ
خُـذَا حِـذَرًا يـاضَرَّتَيْ فَـإِنَّنِي رَأَيْتُ جِرانَ العَوْدِ قَدْ كانَ يَصْلَـحُ

والغَيْرة بين الضرائر لا استثناء فيها، فكل النساء مهما كانت ثقافتهن، ومهما بلغ جمالهن وحسبهن وثروتهن فإنهن يَغرْن من الضرة، ولم يخل من هذا الداء نساء رسول الله ﷺ. ومن شدة غَيْرتَهن أنهن اتفقن مرة على إبعاد رسول الله ﷺ عن زوجته صفية، لأنه مكث عندها مرة أطول مما كان يمكث، وشرب عندها عسلاً[١٧٩]. فتآمرن على أن يَدّعين على أنّ فيه رائحة مغافر، وفعلن ذلك، حتى آلى رسول الله ﷺ ألا يذوق العسل[١٨٠]، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٨١].

وبدت غَيْرَة أمهات المؤمنين واضحة من ضرائرهن. من ذلك أن رسول الله ﷺ كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين صحفة فيها طعام إلى رسول الله ﷺ فضربت التي كان رسول الله في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت. فجمع رسول الله ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل فيها الطعام الذي كان في الصحفة وهو يقول: «غارت أمكم». ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرتها [١٨٢].

---

[١٧٩] الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢٤١ نقلاً عن الطبقات ج٨، ص٥٩؛ وتفسير الطبري، ج٢٨، ص١٠٢.

[١٨٠] الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢٤١.

[١٨١] سورة التحريم: ١.

[١٨٢] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، انظر ج٩، ص٣٢٠. وقيل إن التي غارت عائشة، والتي أرسلت الطعام زينب بنت جحش. انظر نفس المصدر والجزء، ص٣٢٤-٣٢٥.

www.mtenback.com

وكان معنى كلام رسول الله ﷺ «غارت أمكم» أي لا تعجبوا مما وقع من هذه الغيرة، فقد غارت قبل ذلك أمكم سارة، حتى أخرج إبراهيم ولده إسماعيل مع أمه هاجر إلى وادٍ غير ذي زرع. وقيل إنه قصد عائشة أم المؤمنين[١٨٣].

وكانت عائشة من أشد زوجات رسول الله ﷺ غَيْرَة عليه من ضرائرها. كما كانت سائر أمهات المؤمنين يغرن من عائشة [١٨٤]. وكانت عائشة تغار من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لكثرة ما يذكرُها رسول الله ﷺ[١٨٥].

وقد دخلت ذات مرة عجوز على رسول الله ﷺ وهو في بيت عائشة، فأكرمها، وقربها، ووصلها. فقالت له عائشة: من هذه العجوز؟ فقال: «كانت تأتينا وتزورنا أيام خديجة، وحفظ العهد من الإيمان»[١٨٦]. فأبدت عائشة رضي الله عنها غيرتها.

وذكر رسول الله ﷺ مرة خديجة رضي الله عنها، فأطنب في الثناء عليها. فقالت عائشة: فأدركني ما يدرك النساء من الَغْيرة، فقلت لرسول الله ﷺ: لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين. قالت عائشة: فتغير وجه رسول الله ﷺ تغيرًا لم أره تغير عند شيء قط، إلا عند نزول الوحي، أو عند المخيلة، حتى يعلم رحمة أو عذابًا[١٨٧]، وقيل إنه أجابها بقوله: «ما أبدلني خيرًا منها. آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس

---

[١٨٣] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٩، ص٣٢٥.

[١٨٤] حديث غَيْرَة أمهات المؤمنين من عائشة أخرجه مسلم: صحيح مسلم، ج٤، ص١٨٩١.

[١٨٥] مسلم: صحيح مسلم، ج٤، ص ١٨٨٨.

[١٨٦] البخاري: صحيح البخاري، النكاح، حديث رقم ٤٨٢٩، الترمذي، سنن الترمذي، المناقب، رقم ٣٨٠٢؛ ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٧٩٩.

[١٨٧] أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، باقي مسند الأنصار، حديث رقم ٢٤٠٥٤.

www.mtenback.com

ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء»[188]. قالت عائشة: قلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبدًا[189].

وكان رسول الله ﷺ يعرف غَيْرَة عائشة، وقال لها يومًا: إني لأعلم إذا كنت راضية، وإذا كنت عليّ غضبى قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى، قلت لا ورب إبراهيم. قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك [190]. قال الطيبي: هذا الحصر لطيف جدًا، لأنها أخذت أنها إذا كانت في حال الغضب الذي يسلب العاقل اختياره، لا تتغير عن المحبة المستقرة. فهو كما قيل[191]:

إِنِّي لأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنَّنِي ... قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدودِ لأَمْيَلُ

ويبدو أن غَيْرَة عائشة رضي الله عنها تجاوزت غيرة الضرائر، فقد أظهرت غيرتها، وحبها لمعرفة ما يجري حولها، مما ذكرته عن حضور عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ في نحر الظهيرة. واستغربت قدومه في مثل هذا الوقت، وظنت أنه جاءه في أمر النساء، فحملتها الغَيْرة على الإصغاء لمعرفة سبب مجيئه[192].

---

[188] أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، باقي مسند الأنصار، حديث رقم ٢٣٧١٩، ابن حجر العسقلاني فتح الباري، ج٩، ص ٣٢٧.

[189] ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة، المطبعة الوهبية (١٢٨٠هـ) ج٥، ص٤٣٨؛ ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، (١٣١٨هـ) ج٢، ص٧٤١؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٢٤٠-٢٤١.

[190] البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، حديث رقم ٤٨٢٧؛ مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم ٤٤٦٩؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٩، ص٣٢٦.

[191] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٩، ص٣٢٦.

[192] أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، باقي مسند الأنصار، حديث رقم ٢٣٦٩٣.

www.mtenback.com

وكانت أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، أم المؤمنين، امرأة غَيوراً فلما خطبها رسول الله ﷺ قالت له: يا رسول الله، إن فيّ ثلاث خصال: أنا امرأة كبيرة، فقال رسول الله ﷺ: أنا أكبر منك. قالت: وأنا امرأة غَيُور، قال ﷺ: أدعو الله عز وجل فيذهب غَيْرَتك. قالت: يا رسول الله: وإني امرأة مصبية أي أم أولاد فقال ﷺ: هم إلى الله ورسوله[١٩٣].

ونختم الغيرة بين الضرائر بما قاله بعضهم عن هذا النوع من الغَيرة: «إن الغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه» [١٩٤].

الغيرة على البنات:

لا يقل حب البنت عند الأهل عن حب الابن إن لم يفقه عند بعضهم. ومع ذلك فإن الأهل يغارون على البنات أكثر من غَيرْتهم على الأبناء، لأنهن مثال الضعف، ولعدم تمكنهن من الدفاع عن أنفسهن بمفردهن، وقد تكون الغَيْرَة عليهن خوفًا من العار الذي يمكن أن يلحق بالأهل بسببهن. قال عبد العزيز بن مروان لسعيد ابن العاص: كيف حبك لبناتك؟ قال: إني لأحبهن، على أنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، وهن عدد، ولسن بولد [١٩٥].

والغيرة على البنات عامة بين الناس، وهي معتدلة عند بعضهم، وبالقدر الذي يحقق السعادة والراحة للطرفين، وشديدة عند بعضهم الآخر، ولم يخل الرسل من هذه الغيرة المعتدلة. فقد كان رسول الله ﷺ يغار على بناته، ويحب أصهاره، ويمدح من

---

[١٩٣] أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، باقي مسند الأنصار، حديث رقم ٢٥٤٩٧، ٢٥٤٠٣، ٢٥٤٩٦ ومسند المدنيين رقم ١٥٧٥١، مسلم: صحيح مسلم: باب الجنائز، حديث رقم ١٥٢٥؛ ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص٦٣ ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج٨، ص٢٠٣؛ الحوفي: المرأة العربية في الشعر الجاهلي، ص٢٤٠.

[١٩٤] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٩، ص٣٢٥.

[١٩٥] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٧٨٦.

www.mtenback.com

كانت معاملته حسنة منهم. فقد أثنى على أبي العاص بن الربيع في مصاهرته خيرًا، فقال عنه: حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي [١٩٦]. وكان قد وعد رسول الله ﷺ أن يرجع إلى مكة بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بابنته زينب، فوفى بوعده، وفارقها مع شدة حبه لها [١٩٧].

كما أبدى رسول الله ﷺ غَيْرَته على ابنته فاطمة حين استأذنه بنو هاشم بن المغيرة في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فرفض ذلك، وصعد المنبر، وقال: «إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لاآذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد بن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها» [١٩٨].

وهكذا يبدو أن رسول الله ﷺ كان يغار على بناته من الضر، ولا تقتصر الغَيْرَة عليهن من الضر، بل من كل ما يمكن أن يسبب لهن الأذى. وقد اقتدى برسول الله ﷺ كثير من المسلمين، وأخذوا يعطفون على البنات ويغارون عليهن. فهذا حطان بن المعلى يظهر غَيْرَته على بناته، وخوفه عليهن، فيقول [١٩٩]:

لَوْلاَ بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ القَطَا ... رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلى بَعْضِ

---

[١٩٦] البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أصهار النبي ﷺ حديث رقم ٣٧٢٩ وفي النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة حديث رقم ٥٢٣٠.

[١٩٧] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين الأسد، إشراف شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة (د.ت) ج١، ص٣٣٢.

[١٩٨] البخاري، صحيح البخاري، النكاح، حديث رقم ٤٨٢٩؛ الترمذي: سنن الترمذي، المناقب: حديث رقم ٣٨٠٢؛ أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، حديث رقم ١٨١٦٤؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج٩، ص٣٢٧-٣٢٨.

[١٩٩] المرزوقي: شرح الحماسة، ج١، ص٢٨٧.

www.mtenback.com

لَكَـانَ لِـي مُضْطَـرَبٌ واسِـعٌ فِي الأَرْضِ ذاتِ الطُّـولِ وَالعَـرْضِ
وَإِنَّمـا أَوْلادُنـا بَيْنَنـا أَكْبادُنـا تَمْشِـي عَلَـى الأَرْضِ
لَوْ هَبَّـتِ الرِّيـحُ عَلَـى بَعْضِهِـمْ لاَمْتَنَعَـتْ عَيْنِـي مِـنَ الغَمْـضِ

وكان بعض الآباء يحبون بناتهم، ويجدونهن أجمل ما في البيت، وكثيراً ما أثّر الذين يحبون البنات على من يكرهونهن، أو بالأحرى يغارون عليهن. يتضح ذلك من الحديث الذي جرى بين عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، حين رآه عمرو ومعه ابنة له اسمها عائشة، فقال له: من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال معاوية: هذه تفاحة البيت، فقال عمرو: انبذها عنك، فإنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويؤرثن الضغائن.

قال: لا تقل كذا يا عمرو، فوالله ما مرّض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان إلا هنّ. فقال عمرو: ما أراك إلا حببتهن إليّ[٢٠٠].

وحبُّ العرب لبناتهم وغيرتهم عليهن، جعلهم يأنفون من تزويج بناتهم إلى الأعاجم، وليست معركة ذي قار التي وقعت بين العرب والفرس إلا بسبب هذه الغَيْرَة فقد أرسل كسرى بعض رجاله إلى النعمان ملك الحيرة، طالبًا إليه أن يزوجه لنفسه وولده وأهل بيته، فشق هذا الطلب على النعمان ورفضه.

ولما علم كسرى برفض النعمان لطلبه، أرسل إليه يأمره بالحضور إليه، وأدرك النعمان أن نهايته باتت قريبة، وأنه لن يعود من عند كسرى. فأودع حرمه وسلاحه عند هانئ بن مسعود الشيباني. وذهب هو إلى كسرى حيث سجنه حتى توفي. وطالب كسرى بودائع النعمان، فرفض هانئ بن مسعود تسليمها، ووقعت معركة ذي

(٢٠٠) الثعالبي، عبد الملك بن محمد: اللطائف والظرائف، القاهرة، المطبعة الوهبية (١٢٩٦هـ) ص٦٨.

www.mtenback.com

قار[٢٠١]. ومما ساعد على الانتصار في هذه المعركة غَيْرَة الرجال على النساء، إذ إن الرجال اصطحبوا معهم نساءهم، وعمل كل رجل على قطع وضين راحلة حريمه، حتى تسقط على الأرض، وليقاتل كل رجل غَيور شريف من أجل حريمه.

وقال يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار في ذلك[٢٠٢]:

مَنْ فَرَّ مِنكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ ... وَجَارِهِ وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

أَنَا ابْنُ سَيّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ ... إِنَّ الشَّرَاكَ قُدَّ مِنْ أَدِيمِهِ

وَكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ ... مِنْ قَارِحِ الهُجْنَةِ أَوْ صَمِيمِهِ

وكانت النتيجة أن انتصر العرب على العجم[٢٠٣]. وقد أكثر الشعراء في ذكر غيرة العرب في هذه المعركة وحمايتهم للنساء، وتحريضهم على حمايتهن، والغَيْرَة عليهن. فقد قال الشاعر لقيط بن يعمر يحذر قبيلة إياد من غدر الفرس، وكرهم بعد هزيمتهم، وقد حاول إثارة غيرتهم على نسائهم من غدر كسرى وأعوانه، فقال[٢٠٤]:

يا قَوْمُ لا تَأْمَنوا إِنْ كُنْتُمُ غُيُرًا ... عَلَى نِسائِكُمُ كِسْرَى وَمَا جَمَعَا

ومدح خُرَيْب بن الحرب التيمي بني لجيم، لأنهم حموا العربيات من السبي يوم ذي قار، فقال[٢٠٥]:

---

[٢٠١] الطبري محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٢ (١٩٦٤م) ص.ص ١٩٣-٢١٢؛ ابن الأثير: علي بن محمد: الكامل في التاريخ، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر (١٩٦٥م) ج١، ص٤٨٢-٤٩١.

[٢٠٢] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢٠٩؛ جاد المولى: أيام العرب، ص٣٢.

[٢٠٣] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٢١٠-٢١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٤٩٠-٤٩١؛ جاد المولى: أيام العرب، ص٢٩-٣١.

[٢٠٤] الأصفهاني: الأغاني، ج٢٠، ص٢٤.

[٢٠٥] الأصفهاني: الأغاني، ج٢٠، ص١٤٠.

www.mtenback.com

وَإِنَّ لُجَيْمًا أَهْلُ عِزٍّ وَثَرْوَةٍ وَأَهْلُ أَيَادٍ لاَ يُنَالُ قَدِيمُهَا
هُمُ مَنَعُوا فِي يَوْمِ قَارٍ نِسَاءَنَا كَمَا مَنَعَ الشَّوْلَ الهِجَانَ قُرُومُهَا

كما قال الأعشى يمدح فرسان بني شيبان، وما فعلوه في يوم ذي قار من الغَيْرة على النساء وحمايتهن، ووصف ما فعلوه بأوضان النساء، فقال[٢٠٦]:

فَأَحْمَوا حِمَى ما يَمْنَعُونَ فَأَصْبَحَتْ لَنَا ظُعُنٌ كَانَتْ وُقُوفًا فَحَلَّتِ
أَذَاقُوهُمْ كَأْسًا مِنَ المَوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَذَخَتْ فُرْسَانُهُم وَأَدَلَّتِ

وقد ضرب المثل في الغَيْرة على البنات، فقيل: «أغير من الفحل» و«من جمل» و«من عقيل»[٢٠٧]. ومن أهم أسباب الغيرة على البنات، الخوف عليهن من الإهانة في حال وفاة والدهن، وقد وصل الأمر ببعض الآباء غيرة على بناتهم وخوفًا عليهن من الإهانة بعدهم أن تمنوا الموت لهن في حياة الآباء، وأفضل من مثّل هذا الخوف إسحاق ابن خلف البهراني، الذي كان يحب ابنته أميمة حبًا شديدًا ولكنه تمنى لها الموت لئلا تتعرض للإهانة بعده، وكان طيلة حياته يخشى أن يموت ويترك أميمة للإهانة، وقد وضح ذلك في شعره قائلاً[٢٠٨]:

لَوْلا أُمَيْمَةُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ العَدَمِ وَلَمْ أَجُبْ فِي اللَّيَالِي حِنْدِسَ الظُّلَمِ
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي العَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ اليَتِيمَةِ يَجْفُوهَا ذَوُو الرَّحِمِ
أُحَاذِرُ الفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلَمَّ بِهَا فَيَهْتِكَ السِّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِ

---

[٢٠٦] الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧ (١٩٨٣م) ص٣٠٩.

[٢٠٧] الميداني: مجمع الأمثال، ص٤٣١.

[٢٠٨] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ط١، ص٢٨٢-٢٨٣؛ القيرواني: زهر الآداب ج٢، ص٥٢٩ــ٥٣٠.

www.mtenback.com

أَخْشَى فَظَاظَةَ عَـــمٍّ أَوْ جَفَـاءَ أَخٍ ... وَكُنْتُ أَبْكِي عَلَيْها مِنْ أَذَى الكَلِـمِ
تَهْوى حَياتي وَأَهْوى مَوْتَهـا شَـغَفًا ... وَالمَوْتُ أَكْرَمُ نَـزّالٍ عَلـى الحُـرَمِ

وماتت أميمة التي كان يَغار عليها أبوها، ويخشى عليها الذل من بعده، فسـر لموتها، ووضح سبب سروره مع شدة حبه لها فقال[٢٠٩]:

يَا شِقَّةَ النَّفْسِ إِنَّ النَفْسَ وَالِهَـةٌ ... حَرَّى عَلَيْكِ وَدَمْعُ العَيْـنِ مُنْسَـجِمُ
قَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْها أَنْ يُؤَخِّرَهَـا ... عَنّي الحِمامُ فَيُبْدي وَجْهَهـا العَـدَمُ
فَالآنَ نِمْتُ فَـلا هـمٌّ يُؤَرِّقُـنِي ... بَعْدَ الهُـدُوءِ ولا وَجْـدٌ وَلا حُلُـمُ
لِلْمَوْتِ عِنْدِي أَيَادٍ لَسْـتُ أُنْكِرُهـا ... أَحْيا سُرُورًا وَبِي مِمَّـا أَتـى أَلَـمُ

و لم يكن إسحاق بن خلف وحده الذي يغار على بناته، ويخاف عليهن مما قـد يصيبهن إذا أصاب الأب الموت. فقد كان أبو خالد القناني يزداد تعلقًا بالحياة مـن أجل بناته غَيْرَة وخوفًا عليهن من البؤس والعري، فقال[٢١٠]:

لَقَـدْ زَادَ الحَيَـاةَ إِلَيَّ حُبًّـا ... بَنَـاتِي إِنَّهُـنَّ مِـنَ الضِّعَـافِ
أُحـاذِرُ أَنْ يَرَيْـنَ البُـؤْسَ بَعْـدِي ... وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقـا بَعْـدَ صَـافِي
وَأَنْ يُعَرَيْـنَ إِنْ كُسِـيَ الجَـوارِي ... فَتَنْبُو العَيْـنُ عَـنْ كَـرَمٍ عِجَـافِ

وكان للغيرة على البنات أثر بعيد الغور عند بعض الأفراد والقبائل، فقد دفعت إلى عادة من أقبح العادات، ألا وهي وأد البنات.

---

[٢٠٩] القيرواني: زهر الآداب، ج٢، ص٥٣٠.

[٢١٠] المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، ج١، ص٢٨٤ ؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢٩١ نقلاً عن فوات الوفيات لابن شاكر، ج١، ص١٠.

www.mtenback.com

وكان من أهم أسباب الوأد – إلى جانب الفقر – الغَيْرة عليهن، والخوف من السبي حيث تنتهك الحرمات، أو أن يتزوجن بغير أكفاء[٢١١]، أو أن يبدين سلوكًا لا يرضي أهاليهن. وقد صرح بذلك قيس بن عاصم لرسول الله ﷺ حين أقبل عليه يحدثه، فقال له: كنت أخاف سوء الأحدوثة، والفضيحة في البنات، فما ولدت لي بنت قط إلا وأدتها وما رحمت منهن موؤودة قط[٢١٢].

ويعود سبب وأد قيس بن عاصم لبناته، وهو سيد أهل الوبر، كما وصفه رسول الله ﷺ إلى أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعد، فسبى منهم نساء، واستاق أموالاً وكان في النساء ابنة أخت قيس بن عاصم التي اصطفاها المشمرج لنفسه وتزوجها. ولما جاء قيس بن عاصم لأخذ السبي، ودفع ما يترتب عليه، اختارت ابنة أخته البقاء عند المشمرج على العود معه، فأغضبه ذلك، وأخذ يوأد كل بنت تولد له[٢١٣]. وقد رجح الدكتور مرزوق بن تنباك في كتابه (الغيور والصبور)، أن الغيرة كانت سببًا من أسباب الوأد غير الفقر والإملاق، فقال: «وإذا كان القرآن قد نص على سبب واحد للوأد وهو الفقر، فإن الغيرة من الأسباب التي لم ينص القرآن عليها. لأن قيس بن عاصم والمهلهل بن ربيعة كانا يئدان البنات مع غناهما ووفرة مالهما، وكفالتهما للخدم أثناء الأمر بالوأد، وقد أجمع المؤرخون على أن العرب خصت البنات بالوأد دون البنين، وكلا الجنسين يحتاجان إلى الطعام»[٢١٤].

وقد وردت آيات في القرآن الكريم لم يذكر فيها سبب الوأد، ومن المحتمل أن الغَيْرَة كانت سببها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[٢١٥]. كما قال

---

[٢١١] الأصفهاني: الأغاني، ج١٤، ص٦٩.

[٢١٢] الأصفهاني: الأغاني، ج١٤، ص ٦٩.

[٢١٣] جواد علي: المفصل، ج٥، ص٩٠-٩١؛ ابن تباك: الغيور والصبور، ص٤٨-٤٩.

[٢١٤] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ٤٧.

[٢١٥] سورة التكوير: ٨-٩.

www.mtenback.com

جل شأنه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾[٢١٦].

كما أن من عادة بعض العرب، ألا تئد البنت حتى تبلغ من العمر ست سنوات أو أكثر، ولو كان الفقر وحده هو السبب للوأد، لما انتظر الأب وأنفق عليها مدة، ثم وأدها، بعد أن أصبحت مؤنتها أقل، والتعلق بها أقوى[٢١٧].

وقال أحد الرجاز يوضح أن وأد البنت كان غَيْرَة عليها[٢١٨]:

سَمَّيْتُهَا إِذْ وُلِدَتْ تَمُوتُ وَالْقَبْرُ صِهْرٌ ضَامِنٌ زَمِّيتُ

والخوف من العار من البواعث القوية على وأد البنت، لأن الحروب والغارات كانت لا تخبو نارها. وكان السبي من آثارها، والعرب غُيُرٌ على النساء والسبي معرة في نظرهم[٢١٩]. وقد أغرق بعض العرب في الغَيْرة على البنات، ومن هؤلاء الشاعر المعروف عقيل بن علفة الذي ضرب المثل بغَيْرَته، وكان أحد نماذج التطرف والمبالغة الممقوته في الغَيْرَة على بناته، مع أنه كان يحبهن حبًا جمًا، وتظهر صدق عاطفته من هذه الأبيات الشعرية التي يصف بها ابنته، ويتحدث عن حبها الذي دب بين كبده ومحزمه، وروى مشاش عظمه، فقال[٢٢٠]:

---

[٢١٦] سورة النحل: ٥٨-٥٩.

[٢١٧] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ٤٩.

[٢١٨] جواد علي: المفصل، ج٥، ص٩٠ نقلاً عن ابن عبد البر القرطبي: الجامع، ج١٩، ص٢٢٣؛ الطبرسي: مجمع البيان، ج١٠، ص٤٤٤. والزميت: الوقور.

[٢١٩] الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٢٩٦.

[٢٢٠] التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد: الإمتاع والمؤانسة، صححه: أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، دار مكتبة الحياة (د.ت) ج١، ص٢٢٢. والأكشم: المقطوع يريد وصف ابنته بصغر الأنف، حتى كأنه قطع جزء منه. المشاش: كل عظم مخ فيه. ساطه: خلطه.

www.mtenback.com

حُبُّك يـــا ذاتَ الأُنَيْـفِ الأَكْشَـمِ ... حُـــبٌّ تَسَـــاقاهُ مُشـــاشُ أَعْظُمِـــي
وَدَبَّ بَـــيْنَ كَبِـــدِي وَمَحْزَمِـــــي ... وَســـاَطَهُ اللهُ بِلَحْمِـــي وَدَمِـــــي
فَلَيْـــسَ بـــالمَذْقِ ولا المُكَـــــتَّمِ ... وَلا الَّـــذِي إِنْ يَتَقَـــادَمْ يُسْـــأَمِ
لَقَدْ نَزَلْتِ مِـــنْ فُـــؤادِيَ فَـــاعْلَمِي ... مَنْزِلَـــةَ الشَّـــيْءِ المُحَـــبِّ المُكْـــرَمِ

ويعجب من يقرأ شعر عقيل الذي يظهر فيه حبه لبناته من شدة غَيْرَته عليهـــن، تلك الغَيْرة التي تصل إلى درجة لا تطاق ولا تحتمل. فقد كان لشدة غَيْرَته عليهن يـــرى أن يجيعهن ويعريهن. وقد ذكر ذلك بنفسه حين سأله بعضهم عمن سيخلفه على بناته، وأين غَيْرَته عليهن، حين أراد السفر بدونهن، فأجاب قائلاً: «أخلف معهن حـــافظين، الجوع والعري، أجيعهن فلا يمرحن، وأعريهن فلا يبرحن»[٢٢١]. وذكر الأصبهـــاني أن عمر بن عبد العزيز هو الذي سأله قائلاً له: إنك تخرج إلى أقاصي البلاد، وتدع بناتك في الصحراء لاكالئ لهن، والناس ينسبونك إلى الغَيْرة، وتأبى أن تزوجهن إلا الأكفاء، فقال له: إني أستعين عليهن بخلتين تكلآنهن، وأستغني عن سواهما. قال: وما هما؟ قـــال: العري والجوع[٢٢٢].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه لشطحه كان يفضل موت البنـــت علـــى حياتها، ويجعل القبر أكرم الأصهار، كان ذلك مع أن أصهاره من خلفاء بـــني أميـــة وسادات قريش[٢٢٣]. فقد تزوج الخليفة يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء، وتوفيت وهي

---

[٢٢١] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ٤٦-٤٧ نقلاً عن ذيل الأمالي، ص ١٠٦.

[٢٢٢] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٩. وقيل لعقيل: قد عنست بناتك، أفما تخشى عليهن الفساد؟ قال: كلا، إني خلفت عندهن الحافظين قيل وما هما ؟ قال: الجوع والعرى. أجيعهن فلا يأشرن، وأعريهن فلا يظهرن. انظر ابن قتيبية: عيون الأخبار، ج٤، ص ٧٧، المرتضى: أمـــالي، ج١، ص ٣٧٢. وذكـــر الجاحظ في: الحيوان، ج١، ص١٧١ ذلك بقوله: قيل لعقيل بن علفة: لو زوجت بناتك، فإن النســـاء لحم على وضم إذا لم يكُنّ غانيات !! قال: كلا إني أجيعهن فلا يأشرن، وأعريهن فلا يظهرن.

[٢٢٣] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ٤٦.

www.mtenback.com

زوجة له. وكانت قبله عند ابن عم لعقيل يقال له مطيع بن قطبة، وتزوج ابنته عمرة، سلمة بن عبد الله، وتزوج أم عمرو ثلاثة نفر من بني الحكم بن أبي العاص، وهم يحيى، والحارث، وخالد. وما كان يزوجهنّ إلا بصعوبة شديدة، لأنه فضّل لبناته القبر على الزواج[٢٢٤].

ومن المرجح أنه زوج بناته متبعًا هدي الإسلام الذي حض على تزويج البنات، قال رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»[٢٢٥] هذا مع إلحاء أبنائه وأقاربه، أو لمكانة الخاطب، علمًا بأن عبد الملك بن مروان خطب ابنته، فرفض أن يزوجه.

وكان سبب رفض عقيل بن علفة زواج بناته الغَيْرة عليهن، وكان قبل الإسلام يمتنع عن تزويج بناته مهما كان مركز الصهر، وأنه فضل القبر لهن على الزواج، فقال[٢٢٦]:

إِنِّي وَإِنْ سِيْقَ إِلَيَّ المَهْرُ أَلْفٌ وَعَبْدَانٌ وَذَوْدٌ عَشْرُ
أَحَبُّ أَصْهَارِي إِلَيَّ القَبْرُ

ومع ما ذكرناه من أنه زوج بناته إلى أشراف قريش وإلى الخلفاء، فإنه لم يكن يقبل بتزويجهن إلا بعد لأي. وكثيرًا ما رفض الرجال الذين يخطبون بناته. فقد رفض أن يزوج ابنته إلى عثمان بن حيان المرّي، مع أنه كان واليًا على المدينة المنورة، وعندما

---

[٢٢٤] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٤.

[٢٢٥] الترمذي: سنن الترمذي، كتاب النكاح، حديث رقم ١٠٠٤، ١٠٠٥.

[٢٢٦] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٥٣ ؛ المرتضى: أمالي المرتضى، ج١، ص٢٧٣؛ ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص ٧٦٨ ؛ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق : محمد كريم راجح، بيروت، دار اقرأ، ط٣ (١٩٨٤م) ص١٧٥؛ ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ٤٦؛ الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٢٩١.

www.mtenback.com

سأله عثمان عن سبب رفضه لطلب يد ابنته، تجاهل ما سمع، وقال لعثمان: أبكرة من إبلي تعني؟ فقال له عثمان: ويلك أمجنون أنت! قال: أي شيء قلت لي؟ قال: قلت لك: زوجني ابنتك ؟ فقال: أفعل إن كنت عنيت بكرة من إبلي، فأمر به فوجئت عنقه، فخرج وهو يقول[٢٢٧]:

كُنَّا بَنِي غَيْظِ الرِّجَالِ فَأَصْبَحَتْ ... بَنُو مالِكٍ غَيْظًا وَصِرْنا كَمالِكِ

لَحَى اللهُ دَهْرًا ذَعْذَعَ المالَ كُلَّهُ ... وَسَوَّدَ أَشْبَاهَ الإِمَاءِ العَوَارِكِ

وإذا كان عثمان بن حيان قد ضرب عقيل بن علفة لأنه تجاهل طلبه في الزواج من ابنته، ولسوء جوابه، فإن عقيلاً كان يضرب من يخطب بناته إذا وجد أنه أقل مرتبة منه، فقد خطب إليه ابنته جار من بني سلامان، فغضب عقيل وأخذ السلاماني فكتفه، ودهن بعض أعضائه بالشحم، وألقاه في قرية النمل، فأكل النمل بعض جسده، ثم حله، وقال له: يخطب إليَّ عبد الملك يقصد الخليفة فأرده، وتجترئ أنت عليّ[٢٢٨].

وخطب إليه ابنته أم جعفر، أحد بني حن، وكان عقيل حينها منتجعًا في أرض جذام بعد أن أجدبت مراعي قبيلته، وكانت عذرة تنتجع قرب جذام، ورفض طلب العذري، وترك مواقع جذام غاضبًا من هذه الخطبة، لأنه شعر أن بني حن لم يتجرؤوا على خطبة ابنته، لو لم يكن قد جاور في أرض جذام، وأنشد قائلاً:

لَقَدْ هَزِئَتْ حَنٌّ بِنَا وَتَلاعَبَتْ ... وَمَا لَعِبَتْ حُنٌّ بِذِي حَسَبٍ قَبْلِي

رُوَيْدًا بَنِي حَنٍّ تَسِيحُوا وَتَأْمَنُوا ... وَتَنْتَشِرُ الأَنْعامُ فِي بَلَدٍ سَهْلِ

ثم أقسم قائلاً: والله لأموتن قبل أن أضع كرائمي إلا في الأكفاء[٢٢٩].

---

[٢٢٧] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٥

[٢٢٨] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٥

[٢٢٩] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٦

www.mtenback.com

ولم يكن عقيل يرفض زواج بناته فقط، بل إن غَيْرَته عليهن، دفعت بـه إلى أن يعاقبهن على كل ما يراه يناقض التزمت،حتى لو كان حركةً أو صوتًا يصدر عنهن. فقد كاد يقتل ابنته الجرباء لمجرد ذكرها لبيت شعرٍ لم يعجبه معناه [٢٣٠]. وما ذكرته المصادر حول هذه القصة، أن عقيلاً وأولاده «الجرباء، وعُلْفة، وجثامة» أتوا بنتًا له متزوجة من بني مروان في الشام قد مات عنها زوجها، فقفلوا بها، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، نزلوا ديرًا من أديرة الشام، يقال له دير سعد، فلما ارتحلوا أنشد عقيل شعرًا، قال فيه:

قَضَتْ وَطَرًا منْ دَيْرِ سَعْدٍ وَطالَما ... عَلَى عُرُضٍ نَاطَحْنَهُ بِالجَماجِمِ

ثم قال لابنه يا علفة أَجِزْ: فقال:

فَأَصْبَحْنَ بِالمَوْماةِ يَحْمِلْنَ فِتْيَةً ... نَشَاوَى مِنَ الإِدْلاَجِ مَيْلَ العَمائِمِ

ثم قال لابنته الجرباء، أجيزي: فقالت[٢٣١]:

كَأَنَّ الكَرى سَقَّاهُمُ صَرْخَدِيَّةً ... عُقَارًا تَمَشَّى فِي المَطَا والقَوائِمِ

فثارت الغيرة عند عقيل، وقال لابنته ثائرًا: وما يدريك ما نعت الخمر؟ وأخذ السيف وهوى نحوها، فاستعانت بأخيها علفة فحال بينه وبينها.

ويبدو أن غَيْرَة عقيل لم تقتصر على البنات، بل شملت أفراد الأسرة. وكان يغار على بنات قبيلته حتى من أبنائه، وقد أدى هذا إلى تشتيت شمل الأسرة. فقد ذكر أنه وجد يومًا بنيه مع بناته وأمهم مجتمعين، وكان ابنه علفة ينشد شعرًا، ذكر فيه وعدًا

---

[٢٣٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص.ص٥٣-٥٤.

[٢٣١] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٥٣-٥٤؛ الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٦-٢٥٧ المرتضى: الأمالي، ج١، ص ٣٧٣-٣٧٤. وورد الشطر الأخير من البيت الذي أنشده عقيل: (على عجل ناطحنه بالجماجم).

www.mtenback.com

بينه وبين إحدى البنات من بني مرة، فغار وغضب وثار من شعر ابنه. وكان علفة يقول[٢٣٢]:

قِفِي يا ابْنَةَ المُرِّيِّ أَسْأَلْكِ ما الَّذي ... تُرِيْدِينَ فِيما كُنْتِ مَنِّيَتِنَا قَبْلُ
نُخَبِّرْكِ إِنْ لَمْ تُنْجِزِي الوَعْدَ إِنَّنَا ... ذَوا خُلَّةٍ لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُما وَصْلُ
فَإِنْ شِئْتِ كانَ الصَّرْمُ ما هَبَّتِ الصَّبا ... وَإِنْ شِئْتِ لا يَفْنَى التَّكَارُمُ وَالبَذْلُ

فقال عقيل لابنه: يا ابن اللخناء! متى منتك نفسك هذا ؟ وشد عليه بالسيف، وطرده فمضى علفة واستقر في الشام، وكتب إلى أبيه:

أَلاَ أَبْلِغا عَنِّي عَقِيْلاً رِسَالَةً ... فَإِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَيَّ كَرِيمُ
أَمَا تَذْكُرُ الأَيَّامَ إِذْ أَنْتَ واحِدٌ ... وَإِذْ كُلُّ ذِي قُرْبى إِلَيْكَ ذَمِيمُ
وَإِذْ لا يَقِيكَ النَّاسُ شَيئًا تَخَافُهُ ... بِأَنْفُسِهِمْ إِلاَّ الذَّيْنَ تُضِيْمُ
تَنَاوَلَ شَأْوَ الأَبْعَدِيْنَ وَلَمْ يَقُمْ ... لِشَأْوِكَ بَيْنَ الأَقْرَبِيْنَ أَدِيمُ
فَأَمَّا إِذا عَضَّتْ بِكَ الحَرْبُ عَضَّةً ... فَإِنَّكَ مَعْطُوفٌ عَلَيْكَ رَحِيمُ
وَأَمَّا إِذا آنَسْتَ أَمْنًا وَرَخْوَةً ... فَإِنَّكَ لِلْقُرْبَى أَلَدُّ ظَلُومُ

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضي عنه، وبعث إليه، فقدم عليه [٢٣٣].

ومع قسوة عقيل على بناته، فإنهن كن يحببنه، ولا يردنه أن يبتعد عنهن فقد بكت ابنته الجرباء حين اختلف عقيل مع ابنه علفة، وغضب منه وأراد الخروج إلى الشام، وكان لبكائها أثر كبير على أبيها دفعه إلى العدول عن السفر.

---

[٢٣٢] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص ٢٥٨.

[٢٣٣] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص٢٦٠

www.mtenback.com

ولعقيل بسبب غَيْرَته على بناته شروط على من يخطبهن حتى لوكان خليفة، فهو لا يقبل بأن يزف الأعلاج ابنته، ولا أن يراها إلا زوجها. فحين خطب الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك إليه ابنته الجرباء، قال له عقيل: قد زوجتكها، على ألا يزفها إليك أعلاجك. وأكون أنا الذي أجيء بها إليك. قال يزيد: لك ذلك.

وبعد مدة، دخل الحاجب على يزيد، قائلاً له: بالباب أعرابي على بعير، معه امرأة في هودج، قال: أراه والله عقيلاً. فأدخله الحاجب إلى الخليفة، ويده بيد ابنته. ولما وصل إلى قرب الخليفة، وضع يد ابنته الجرباء في يد يزيد قائلاً: إن أنتما ودن[٢٣٤] بينكما، فبارك الله لكما، وإن كرهت شيئًا، فضع يدها في يدي، كما وضعت يدها في يدك، ثم برئت ذمتك. فوافق يزيد على الزواج منها، ومكثوا ما شاء الله، حتى توفيت وهي زوجة له[٢٣٥].

ولم يكن عقيل يبغي من وراء تزويج بناته للخلفاء والولاة الحصول على المال والجاه، بل إنه كان يفتخر بنسبه ويرى أنه لا كفء له، غير الخلفاء. ويريد أن يزوج بناته للأكفاء، وما حدث بعد زواج ابنته من يزيد بن عبد الملك دليل على ذلك. فقد ذكر أن الجرباء ولدت غلامًا ليزيد، ففرح به كثيرًا، ونحله وأعطاه. ثم مات الصبي، فورثت الجرباء منه الثلث، ثم ماتت الجرباء في حياة زوجها يزيد، فورثها زوجها وأبوها. فكتب يزيد لعقيل: إن ابنك وابنتك هلكا، وقد حسبت ميراثك منهما، فوجدته عشرة آلاف دينار، فهلم فاقبضه. فقال: إن مصيبتي بابني وابنتي تشغلني عن المال وطلبه، فلا حاجة لي في ميراثهما [٢٣٦].

---

[٢٣٤] الودن والودان: حسن القيام على العروس.

[٢٣٥] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص٢٦٣-٢٦٤.

[٢٣٦] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص٢٦٤.

www.mtenback.com

ولم يكن عقيل وحده يرى وجوب زواج البنت من الكفء، بل شاركه في ذلك كثيرون، ومنهم رجل من طيء وضح في شعره الغيرة على البنت، وضرورة زواجها من الكفء، وأنها ليست بضاعة تباع وتشترى، فقال[٢٣٧]:

عَجِبْتُ مِنَ الْمُبْتَاعِ غَثًّا لِرُخْصِهِ ... وَلَلْغَثُّ مُبْتَاعًا أَقَلُّ وَأَخْسَرُ

عَجِبْتُ مِنَ الْمُسْتَلْئِمِ الخَالِ لابْنِهِ ... وَلِلشَّاةِ يَرْجُو نَسْلَهَا يَتَخَيَّرُ

لِبِنْتِكَ فاسْتَكْرِمْ لِبِنْتِكَ خالَهَا ... فَإِنَّ بِدالَ الخَالِ لِلْخَالِ أَعْسَرُ

وقد تعدد الآباء الغَيْورون الذين يفضلون القبر لبناتهم على الصهر، ومن هؤلاء عبيدالله بن عبدالله بن طاهر الذي أبدى رأيه في زواج البنات بقوله[٢٣٨]:

لِكُلِّ أَبٍ بِنْتٌ يُراعِي شُؤُونَها ... ثَلاثَةُ أَصْهَارٍ إِذا حُمِدَ الصِّهْرُ

فَبَعْلٌ يُراعِيها،وَخِدْرٌ يُكِنُّهَا ... وَقَبْرٌ يُواريها وَأَفْضَلُها القَبْرُ

وكان الحمارس التغلبي غَيوراً، لايريد أن يزوج بناته بسبب غَيْرَته الشديدة عليهن، ولكنه سمعهن يومًا يتحدثن وهو في فناء بيته عن موقفه هذا وينقدنه. فأدرك رغبتهن بالزواج، وأنهن يحقدن عليه بسبب موقفه، فزوجهن[٢٣٩].

وكان أبو العلاء المعري كثير الغَيْرَة على البنات، ولذلك فإنه يرى أن دفنهن مكرمة[٢٤٠]:

وَإِنْ تُعْطَ الإِناثَ فَأَيُّ بُؤْسٍ ... تَبَيَّنَ فِي وُجُوهٍ مُقَسَّمَاتِ

---

(٢٣٧) أبو زيد الأنصاري: النوادر في اللغة، ص١٨١.

(٢٣٨) الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٧٥.

(٢٣٩) المرزباني: أشعار النساء، ص١٥٢-١٥٣.

(٢٤٠) المعري: أبو العلاء أحمد بن عبدالله: لزوم ما لايلزم، القاهرة، المطبعة الجمالية، ط١ (١٣٣٣هـ) ج١، ص١٥١.

www.mtenback.com

وَدَفْنٌ وَالحَوادِثُ مُفْجِعاتٌ لإِحْداهُنَّ إِحْدَى المَكْرُمَاتِ

وكان بعض الآباء يمنعون بناتهم من الخروج، ومن الاتصال بالآخرين غَيْرَة عليهن. وقد صور امرؤ القيس موقف الآباء هذا بقوله[٢٤١]:

أَلاَ يَحْبِسُ الشَّيْخُ الغَيُورُ بَناتِهِ مَخَافَةَ جِنِّيِّ الشَّمائِلِ مُخْتَالِ

يُقَصِّرُ عَنْهُنَّ الطَّرِيقَ وَغَوْلُهُ قَتِيلُ الغَوانِي في الرِّياطِ وَفي الخَالِ

وقد أدى سلوك وتصرف الآباء حيال من يخطبهن، أو يقترب منهن، أو ينظر إليهن، إلى أن الرجال أصبحوا يخشون حتى من مجرد النظر إليهن، قال سراقة البارقي، يصف خوفه من غَيْرَة الأب على ابنته، وأنه كان إذا رأى بنتًا يصرف النظر عنها خشية ما يحدث له لو تابع النظر إليها[٢٤٢]:

صَرَفْتُ الوَجْهَ عَنْ نَظَرٍ إِلَيْها وَأَلْقَتْ دُونَ سِنَّتِها قِرامَا

كِلانا خائِفٌ يَخْشَى أَبَاها وَطَعْنًا مِنْ عَشِيرَتِها وَذَامَا

ومما لاشك فيه: أن موقف الآباء من تزويج البنات، في الجاهلية و الإسلام، ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم، أدى إلى خروج بعض البنات عن الجادة، وقيامهن بالمنكر، ومن القصص في ذلك، أن صبيًا وجد في بعض مساجد أصبهان، ومعه صرة فيها مئة دينار، ورقعة مكتوب عليها، هذا جزاء من لايزوج ابنته [٢٤٣].

ويمكن القول أخيرًا: إن تربية البنات وتخليقهن بالخلق الحسن، أفضل من الغَيْرَة الشديدة عليهن. قال محمود الوراق يذكر ذلك[٢٤٤]:

---

[٢٤١] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص ٣٨.

[٢٤٢] سراقة البارقي: سراقة بن الأصغر: ديوان سراقة البارقي، تحقيق: حسين نصار: القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١(١٩٤٧م) ص ٩٦ والقرام: الستر فيه رقم ونقوش.

[٢٤٣] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٢٦١.

[٢٤٤] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص٢٦١.

www.mtenback.com

رَأَيْتُ صَلاَحَ المَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ ... وَيَعْدِيهِمُ دَاءُ الفَسَادِ إِذا فَسَدْ
وَيَشْرُفُ فِي الدُّنْيا بِفَضْلِ صَلاحِهِ ... وَيُحْفَظُ بَعْدَ المَوْتِ فِي الأَهْلِ والوَلَدْ

الغيرة على الأخوات:

الغَيْرَة على الأخوات، والغَيْرَة بين الإخوة والأخوات، حالات بشرية معروفة فقديمًا غار هابيل من أخيه قابيل وقتله، وكان هذا أول حادث قتل في الأرض، وجاء ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٢٤٥]، كما غار إخوة يوسف منه، ففعلوا ما فعلوا ليخلو لهم وجه أبيهم، ويفوزوا بمحبته، وليكونوا من بعده قومًا صالحين. قال تعالى يصور الهاجس الذي أثارته الغَيْرَة في نفس إخوة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ. إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[٢٤٦]. ويتضح من هذين المثالين، أن سبب الغَيْرَة هو شعور الغيور بتفضيل أخ عليه في المعاملة، أو شعوره بالمكانة التي يحظى بها، أو بقبول شيء قدمه، دون قبوله من الآخر، إضافة إلى أسباب، مثل توزيع الإرث والثروة وغيرها.

وكثيرًا ما كان الأخ يمانع في زواج أخته غَيْرَة عليها، وتشتد غَيْرَته إذا علم أن شاعرًا يتغزل بها، لأن غزله يعد تشهيرًا وجرحًا لشرف أهلها. وقد أبدى الأصبغ بن محصن الجعدي غَيْرَة من مالك بن الصمصامة الذي أحب أخته جنوب وتغزل بها، فآلى

---

[٢٤٥] سورة المائدة: ٢٧.

[٢٤٦] سورة يوسف: ٧، ٨، ٩.

www.mtenback.com

يميناً لئن عرض بها، أو زارها ليقتله. ولئن عرض بها في شعره أو ذكرها ليأسرنه، ثم لا يطلقه حتى يجز ناصيته في نادي قومه[٢٤٧]. ولما انتجع أهل جنوب، وأرادوا الرحيل، وقف مالك بن الصمصامة يتحسر ويتوجع لابتعاد حبيبته ورحيلها مع أهلها، وأخذ يستوثق منها، يريدها أن تظل راعية للعهد، ويسائلها إن كانت ستبقى أو ستنساه حين تبتعد، وهو لايريد منها إلا جواباً يطمئنه، ويعزيه عن هذا الفراق، ويعلم أن بينه وبينها حواجز وعوائق، فدونهما غَيْرَة أخيها الأصبغ بن محصن الذي هدده بالقتل أو الأسر، فهو في حيرة من أمره لأنه يحبها حباً يائساً لا رجاء فيه ولاأمل فقال[٢٤٨]:

أَرَيْتُكِ إِنْ أَزْمَعْتُمُ اليَوْمَ نِيَّةً ... وَغالَكِ مُصْطافُ الحِمَى وَ مَرابِعُهْ

أَتَرْعَيْنَ ما اسْتُودِعْتِ أَمْ أَنْتِ كالَّذي ... إِذَا مَا نَأَى هَانَتْ عَلَيْهِ وَدائِعُهْ

أَلاَ إِنَّ حِسْياَ دُوْنَهُ قِلَّةُ الحِمَى ... مُنَى النَّفْسِ لَوْ كانَتْ تُنَالُ شَرائِعُهْ

وَكَيْفَ وَمَنْ دُوْنِ الوُرُود عَوَائِقٌ ... وَ أَصْبَغُ حَامِي مَا أُحِبُّ وَمانِعُهْ

ويغار الأخ على أخته وعلى مصالحها من زوجها القوام عليها نفسه، فلا يغضي عن إساءة زوجها إليها، ولا يغفر له إن أذلها. من ذلك أن بكرة بنت قليص، وكانت زوجة تميم بن علاثة، ضربها زوجها فشجها، فلقي أخوها زوجها فلامه على ضربه وشجه إياها، فوقع بينهما شجار فشج تميم أخا بكرة أيضاً، فماكان من الأخ إلا أن شج زوج أخته وأصابه على أم رأسه، غَيْرَة على أخته وانتقاماً لها من زوجها[٢٤٩]. كما أن كليب وائل ثار غَيْرَة لأخته، حين استغاثت به من زوجها لبيد بن عنبسة،

---

[٢٤٧] الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٣١٧.

[٢٤٨] الحوفي، أحمد محمد: الغزل في العصر الجاهلي، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٣ (١٩٧٣م) ص١٩٥-١٩٦. نقلاً عن الأغاني، ج١٩، ص٨٣.

[٢٤٩] الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٣١٦. نقلاً عن النقائض، ج ٢، ص٣١٦.

www.mtenback.com

الذي لطمها واستذلها، وتنقص من قدر أخيها. وكان من أثر غَيْرَة الأخ، وثورته على زوج أخته، حرب زبون بين اليمنيين وربيعة ومضر ومن حالفهما[٢٥٠].

وغَيْرَة الأخ على أخته تبدو واضحة مما حدث لعبيد الله بن المضرجي المعروف بالقتال الذي كان يحب ابنة عمه، ووقف يتحدث معها مرة، فقدم أخوها زياد ورآهما، فنهى ابن عمه القتال عن مقابلة أخته والحديث معها، وحلف لئن رآه معها ثانية ليقتلنه، وبعد أيام رآه يحدثها، فأخذ السيف ليضربه، فبصر به القتال، ففر هاربًا، فتبعه زياد، فلما دنا منه ناشده القتّال بالله وبالرحم ألا يفعل، فلم يلتفت إليه، فعطف القتال على زياد فقتله. وهكذا انتهت حياة زياد بسبب غيْرَته على أخته. وقال القتال قتله زيادًا[٢٥١]:

نَهَيْتُ زِيادًا وَالمَهامَهُ بَيْنَنَا ... وَذَكَّرْتُهُ أَرْحامَ سَعْدٍ وَهَيْثَمِ

فَلَمّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرُ مُنْتَهٍ ... أَمَلْتُ لَهُ كَفّي بِلَدْنٍ مُقَوَّمِ

الغَيْرَة على الحبيبة:

انتشر الحب بين العرب، وكثر العشاق، وخاصة بين أصحاب المشاعر الرقيقة، كالشعراء، وساعد على ذلك ظروف الحياة التي كانت تعيشها المرأة فهي تحتطب وتسقي، وترد الموارد وترعى، وتمارس صنوف السلوك من ارتحال وتنقل، وإقراء الضيوف عند غياب الأزواج والإخوان، و لم تعش العربية حياتها كلها داخل الخباء ممتعة كما هو حال نسوة اليوم، ومع ذلك كان للمشاعر الرقيقة سبيل إلى المرأة، فهي بيضة الخدر، وهي الحبيبة، وهي التي تحفظ الشرف وتحافظ على سمعة نفسها وأهلها،وفيها يتغزل المعجبون، وبها يتغنى الشعراء.

---

[٢٥٠] الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص٣١٦. نقلاً عن أخبار المراقسة، ص١٩، وكتاب بكر وتغلب، ص١٥.

[٢٥١] الحوفي: المراة في الشعر الجاهلي، ص ٣١٧ نقلاً عن الأغاني، ج ٢، ص١٥٩.

www.mtenback.com

وسادت الغَيْرَة بين الحبيبين، وكانت لا تقل عنها بين الزوجين، وصورها العشاق الذين يختلسون العيون ويهتبلون الغرة والغفلة، فبكوا منها، وازداد بكاؤهم؛ لأن الأبواب كانت موصدة في وجه علاقاتهم، لوجود الغَيورين الذين يحرسون المرأة، ولايمكّنون الحبيبين من رؤية بعضهما فتحدثوا عن شدة الغَيور وجعلوا الغَيْرَة موضوعًا يدور حوله شعرهم، ويزداد كرههم للحارس، ويحاولون التخلص من رقابته، كلما أحسوا أن صلاتهم ستنقطع، وأصبح الغَيور فى نظرهم سواء كان أبًا أو أخًا أو زوجًا أو قريبًا، منغصًا لمشاعرهم.

وإذا كان الرجل لا يخشى هؤلاء الغَيورين إلا نادرًا فإن المرأة كانت أكثر من الرجل خوفًا، وكانت تخشى عين الغيور من أهلها، وتحذر من الوقوع في قبضته وهي في خلوة مع رجل أجنبي. وشبه لنا الشاعر الأعشى الغَيور بالمارد من غواة الجن حين يحرس المحبوبة، فقال[٢٥٢]:

وَمارِدٌ مِنْ غُـواةِ الجِـنِّ يَحْرُسُـها ... ذُو نِيـفَةٍ مُسْـتَعِدٌّ دُونَهـا تَرِقـا

لَيْسَتْ لَهُ غَفْلَةٌ عَنْها يَطِيـفُ بِهـا ... يَخْشى عَلَيْها سُرَى السَّارِينَ والسَّرَقا

تِلْكَ الَّتي كَلَّفَتْكَ النَّفْـسَ تَأْمُلُهـا ... وَما تَعَلَّقْتُ إِلاَّ الحَيْـنَ وَالحُـرَقا

وصور لنا كثير عزة وقوف الغيور فى طريقه، وأنه حتى لو حصل على وعد منها، فإنه لن يثق بتحقيقه، وقد يكون السبب منع الغيور لها، أو تراجعا منها خوفًا من الغيور، فقال[٢٥٣]:

وَلَسْتُ وَإِنْ أَوْعَدْتُ فِيها بِمُنْتَـهٍ ... وَإِنْ أُوقِـدَتْ نارٌ فَشَـبَّ وَقُودُهـا

---

[٢٥٢] الأعشى: ديوان الأعشى، ص٤١٧.

[٢٥٣] كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص ٢٠١، ابن تنباك، الغيور والصبور، ص ٥٢.

www.mtenback.com

ووصف جرير حيلولة الغيور بين الحبيب وحبيبته بقوله[٢٥٤]:

وَأَنَّى لَهُ هِنْدٌ وَقَدْ حَالَ دُونَهَا ... عُيُونٌ وَأَعْداءٌ كَثِيرٌ رُجُومُهَا

إِذا زُرْتَها حالَ الرَّقِيبانِ دُونَها ... وَإِنْ غِبْتَ شَفَّ النَّفْسَ عَنْها هُمُومُها

كما قال[٢٥٥]:

لَوْلا مُرَاقَبَةُ العُيُونِ أَرَيْتُنَا ... مُقَلَ المَها وَسَوالِفَ الآرامِ

وفي هذا الجو المشحون بالغَيْرَة والذي يحفه رقباء غيورون، فإن الموت هو العقوبة المقدرة للحبيبين إن وجدا متلبسين بشيء يسيء إلى الشرف والكرامة، أو يخدش حرمة الغَيور.

وقد وضح جميل بثينة خوفه من سطوة الغيور بقوله[٢٥٦]:

فَقالَتْ ثُمَّ زَجَّتْ حاجِبَيْها ... أَطَلْتَ وَلَسْتَ فِي شَيْءٍ تُطِيلُ

فَلا يجدنَّكَ الأَعْداءُ عِنْدِي ... فَتَشْكُلَنِي وَإِيَّاكُ الشُكُولُ

وقد حاول كثيرون الوصول إلى ما يبغون، ومنهم من سخر من الغيورين تحديًا لهم، كما فعل ابن المعتز، الذي قال في تحديه للغَيور[٢٥٧]:

وَيَارُبَّ مَطْرُوقٍ قَمَرْتُ غُيُورَهُ ... وَطاوَعْتُ فِيهِ حُبَّ نَفْسِي أُعالِجُهْ

كما قال مظهرًا ضيقه وضيق حبيبته من الغَيور[٢٥٨]:

---

[٢٥٤] أبو عبيدة: النقائض، ج ١، ص١١٠-١١١.

[٢٥٥] أبو عبيدة: النقائض، ج ١، ص٢٧١.

[٢٥٦] جميل بثينة: ديوان جميل بثينة؛ ص١٧١، القالي: الأمالي، ج٢، ص٨٣؛ ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٥٢-٥٣.

[٢٥٧] ابن المعتز: ديوان ابن المعتز، ص ١٢٨

[٢٥٨] ابن المعتز: ديوان ابن المعتز، ص١٣٠

www.mtenback.com

تَقُـولُ لِـي وَالدُّمـوعُ وَاكِفَـةٌ فِـي خَدِّهـا بِالدِّمـاءِ تَمْتَـزِجُ
حَتَّى مَتى نَلْتَقِي عَلَـى حَـذَرٍ؟ أَما لَنـا مِـنْ عَذابِنَـا فَـرَجُ؟

ويفخر بعضهم بالوصول إلى المرأة التي يكثر الغيورون من حولها، لأن ذلك دليل على إقدامهم وحسن مخاطرتهم.ومن هؤلاء امرؤ القيس الذي افتخر بأنه تجاوز الغيورين الحريصين على ابنتهم، والذين لو تمكنوا من الوصول إليه لقتلوه[٢٥٩]:

تَجاوَزْتُ أَحْراسًا إِلَيْها وَمَعْشَرًا عَلَيَّ حِراصًا لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

وقال أيضًا[٢٦٠]:

فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ القَتامُ سَيِّءَ الظَّنِّ وَالبَالِ

ويصور سراقة البارقي خوف من يتصيد غفلة الغيور للوصول إلى بغيته، كما يصور موقفه إذا رآه الغَيور وطلبه، إذ يصبح كالكلب الجبان الذي يرفع ذنبه ويولي هاربًا ويصف الغَيورَ بالسيد المكرم القوي الشديد فيقول[٢٦١]:

وَلَقَدْ عَلِمْتَ عَلَى تَبـاغِيكَ الخَنـا أَنَّ الخَصِيَّ إِذا اسْتَفَزَّ ذَعُورُ
إِنَّ الخَصِيَّ يَشُولُ حِينَ يَرُومُهُ قَرْمُ قَرَاسِيَةِ اللِّقاءِ غَيُورُ

وروى ثعلب مقدرة النساء على تخطي غَيْرَة الغيور، مثلهن في ذلك مثل الرجال، فهن يحاولن التخلص من الرقابة، ولا يرعين أمانة إذا ابتعدن وغاب الغَيور أو البعل[٢٦٢]:

أَعَلَيَّ مـا مـاءُ الفُـراتِ وَبَـرْدُهُ مِنّي عَلَـى ظَمَـأٍ وَفَقْـدِ شَـرابِ

---

[٢٥٩] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص١٢٨.

[٢٦٠] امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، ص ٣٢

[٢٦١] سراقة البارقي: ديوان سراقة البارقي، ص ٥٢

[٢٦٢] القالي: الأمالي، ج١، ص ٣٠

www.mtenback.com

بأَلَذّ مِنْـــكِ وَإِنْ نَـأَيْتِ وَقَلَّمَـــا يَرْعَـى النِّسـاءُ أَمَانَـةَ الغُـيَّابِ

وكانت حبيبة عمر بن أبي ربيعة تسعى للقياه، إذ تتحين الفرصـــة الســانحة، وتطلب منه أن يكلمها في غياب الرقيب العتيد. وقد أنشد في وصف محاولـة حبيبتـه تخطي الغيورين الرقباء من أهلها وكيف كانت تنتظر الفرصة السانحة للقائه فقال[٢٦٣]:

فَقَالتْ وَأَرْخَتْ جانِبَ السَجْفِ إِنَّمـا مَعِي فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقْبَـةٍ أَهْلِـي

فَقُلْتُ لَهَا ما بِي لَهُـمْ مِنْ تَرَقُّـبٍ وَلَكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُـهُ مِثْلِـي

وكانت الحبيبة تغافل، الرقباء وتحاول محادثة من تحب حتى لو أدى الأمر إلى أن يقطعوا لسانها. ووصفت أعرابية كانت تحب رجلاً اسمه عيسى حبها له، وأثر الحـب فيها، وغَيْرَة أهلها عليها وتخطيها لهم، حتى لو قطع لسانها، فقالت[٢٦٤]:

فَقَدْ شَفَّ جِسْمِي بَعْدَ طُولِ تَجَلُّـدِي أَحادِيثُ مِنْ عِيسى تُشِيبُ النَّواصِيا

سَأَرْعَى لِعِيسَى الوُدَّ ماهِبَّتِ الصَّبَـا وَإِنْ قَطَعُوا فِي ذَاكَ عَمْـدًا لِسـانِيا

و مما يزعج الحبيبين قرب الغَيورين منهما وهم يراقبونهمـا مراقبـة شـديدة، ويحاولون منعهما من الكلام مع بعضهما مع بعض بله اللقاء. ولكن الحبيبين يتجـاوزان هذه الرقابة بكافة السبل، مع أنهما يخافان أضعف الرقباء، ويلتقيان لقاء مشوبًا بـالحذر والخوف الشديد وتوقع العقاب، قال بشار بن برد يصور ذلك[٢٦٥]:

كَـأَنَّ فُـؤَادَهُ يَـنْزَى حِـذَارًا حِذارَ البَيْـنِ لَـوْ نَفَـعَ الحِـذارُ

تَنَـادَوا في الغَزَالَـةِ حِـينَ راحُـوا بَجَـدٍّ البَيْـنِ حِـينَ دَنـا الغُيـارُ

---

[٢٦٣] القالي: الأمالي، ص ٧٥.

[٢٦٤] القالي: الأمالي، ج٢، ص ٢٥

[٢٦٥] بشار بن برد: ديوان بشار بن برد، ج ٣، ص ٢٤٨.

www.mtenback.com

وفي محاولة تخطي الغيور عدا الخوف والذعر، والعقاب المحتمل مغامرة قد تنجح، وقد تفشل. قال ذو الرمة يصف ذلك[٢٦٦]:

إذا الفاحِشُ الغَيْرانُ لَمْ يَرْتَقِبْنَهُ ... مَدَدْنَ حِبالَ المُطْمِعاتِ المَوانِعِ

وَلَمَّا تَلا قَيْنَا جَرَتْ مِنْ عُيونِنا ... دُمُوعٌ كَفَفْنا ماءَها بِالأصابِعِ

وكان الأعشى مغامرًا، يتصيد غياب الرقيب، فيتسلل إلى حبيبته في الظلام في غفلة من أهلها، فيصل إلى ما يبغي. قال مصورًا مغامرته هذه[٢٦٧]:

تَسَدَّيْتُها عادَني ظُلْمَةٌ ... وَغَفْلَةُ عَيْنٍ وإيقادُها

فَبِتُّ الخَلِيفَةَ مِنْ زَوْجِها ... وَسَيِّد تيّاً وَمُسْتادُها

وقال في قصيدة أخرى يصف فيها كيف تخطى العيون، ووصل إلى ما يريد. فقد كان يراقب البعل الحذر الذي لا تغفل عينه، حتى إذا أقبل الليل، انتهز غفلته حين نامت عينه، فانسل إليها[٢٦٨]:

فَظَلْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا ... حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلاَمُ دَنَا لَهَا

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ ... فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالِهَا

حَفِظَ النَّهارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلاً ... فَخَلَتْ لِصاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلا لَهَا

ولا يشعر الحبيبان أحيانًا بالخوف من الآخرين، بل إنهما يشعران بالظلم لما أصابهما لقاء حبهما، وشوق كل منهما إلى الآخر، قال عمرو بن كلثوم يصف ظلم والد حبيبته واغتياله فرحتهما وسعادتهما[٢٦٩]:

---

[٢٦٦] ذو الرمة: ديوان ذي الرمة، ج ٢، ص٧٨٢. ابن تنباك: الغيور والصبور، ص ٥٤.

[٢٦٧] الأعشى: ديوان الأعشى، ص ١١٩.

[٢٦٨] الأعشى: ديوان الأعشى، ص٧٧.

[٢٦٩] أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، ج١، ص٣٩٢.

www.mtenback.com

قِفِي نَسْأَلْكِ هَلْ أَحْدَثْتِ صِرْمًا ... لِوَشَكِ البَيْنِ أَمْ خُنْتِ الأَمِينا

أَفِي لَيْلَى يُعَاتِبُنِي أَبُوهَا ... وَإِخْوَتُهَا وَهُمْ لِي ظَالِمُونَا!!

تُرِيكَ إِذا دَخَلَتْ عَلَى خَلاءٍ ... وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الكَاشِحِينا

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ، أَدْمَاءَ، بِكْرٍ ... هِجَانَ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينا[٢٧٠]

ويصف ذو الرمة يوم غياب الرقيب بأنه يوم سرور مبارك، يتهللن به ويستأنسن وتشرق فيه الأرض، ولسرورهم بهذا اليوم، فإنهم يشعرون أنه قصير، وقد صور لنا يومًا من تلك الأيام التي خلت من أعين الرقباء الغيورين بقوله[٢٧١]:

إِذا غَابَ عَنْهَن الغَيُورُ وَأَشْرَقَتْ ... لَنا الأَرْضُ بِالْيَوْمِ القَصِيرِ المُبَارَكِ

تَهَلَّلْنَ وَاسْتَأْنَسْنَ حَتَّى كَأَنَّمَا ... تَهَلَّلَ أَبْكَارُ الغَمَامِ الضَّوَاحِكِ

وربما تمكن المحب من الوصول إلى حبيبته، مستغلاً لحظة غفلت فيها عيون الغيارى المحيطين بها، وزالت الرقابة المضروبة عليهما، فحظي بلحظة لقاء. قال الأعشى يصور ذلك، ويذكر كيف تمكن من استغلال غفلة القوم الغيارى الذين يطوفون حول قباب محبوبته، ويحذرون أن تظهر للآخرين، أو من أن يصل الغواة إلى بابها[٢٧٢]:

وَلَقَدْ غَبَنْتُ الكَاعِبَاتِ ... حَظٌّ مِنْ تَخْبَابِهَا

وَأَخُونُ غَفْلَةَ قَوْمِهَا ... يَمْشُونَ حَوْلَ قِبَابِهَا

حَذَرًا عَلَيْهَا أَنْ تُرَى ... أَوْ أَنْ يُطَافَ بِبَابِهَا

---

[٢٧٠] والوشك: السرعة. الأمين: قوي العهد. الكاشح: العدو المبغض. وهجان اللون: معناه أنها بيضاء اللون، والهجان أيضًا الكريم من كل شيء. شبه المرأة بظبية طويلة العنق بيضاء اللون بكر لم يؤدها حمل قط.

[٢٧١] ذو الرمة: ديوان ذي الرمة، ج٣، ص٢٢

[٢٧٢] الأعشى: ديوان الأعشى، ص٣٠١.

www.mtenback.com

وكان جميل بثينة يتحمل كل مكروه في سبيل الوصول إلى ما يريد غير عابىء بعددهم وعتادهم، مسترخصًا في ذلك روحه، مستسهلاً كل ما سيصيبه في سبيل ما يصل إليه منها، فيقول(٢٧٣):

وَلَوْ أَنَّ أَلْفًا دُونَ بُثَنَةَ كُلُّهُمْ غَيارى وَكُلٌّ حَارِبٌ مُزْمِعٌ قَتْلِي
لَحَاوَلْتُهَا إِمَّا نَهَارًا مُجَاهِرًا وَإِما سُرى لَيْلٍ وَلَوْ قُطِعَتْ رِجْلِي

ويحاول كثير من الأحباب تخطي هذه الصعاب والوصول إلي مبتغاهم، قال بشار ابن برد(٢٧٤):

كَأَنَّ هَوانا في العِقابِ وَفِي الرِّضَا سَرابِيلُنا تَنْشَقُّ عَنَّا وَتَنْضَحُ
لَيَالِي نَقْتَادُ الهَوى وَيَقُودُنَا رَصَدَاتُ العَيْنِ وَالكَلْبُ يَنْبَحُ
فَقَدْ سَاغَ لِلْغَيْرانِ مِنْ ذَاكَ رِيقُهُ وَنَامَ العِدَى حَتَّى افْتَرقْنَا وَأَنْجَحُوا

وهذا أبو السائب وهو أحد المحبين العشاق، تمنى الانفراد بمحبوبته في البحر، حيث لا يراهما أحد، ولا يخشيان رقيبًا حاسدًا، تحفهما حنادس البحر وظلمته، ويهلك مبتغيهما قبل الوصول إليهما، إذن لقضيا المنى بالوصل المرتقب، وشفيا نفسيهما حتى لو قل زادهما، ونفذ متاعهما، فهو يقول(٢٧٥):

تَمَنَيْتُ مِنْ حُبِّي عُلَيَّةَ أَنَّنَا عَلى رَمَثٍ فِي البَحْرِ لَيْسَ لَها وَفْرُ

---

(٢٧٣) جميل بثينة: ديوان جميل بثينة، ص١٨١.

(٢٧٤) بشار بن برد: ديوان بشار بن برد،ج٢،ص ١٠٦.ولم تظهر له معنى. ولعله «وتصلح» أي تنشق تارة وتخاط أخرى، مثل اختلاف حاله معها في عتاب ورضى بتمزيق الثوب مرة وإصلاحه أخرى، ويتضمن التشبية أنهم يشقون سرابيلهم من الطرب. وهو مأخوذ من قول عبد بني الحسماس:

إذا شق بالبرد مثله دواليك حتى كلنا غير لابس

(٢٧٥) القالي: الأمالي، ج١، ص١٤٩.

www.mtenback.com

عَلَى دَائِمٍ لا يَعْبُرُ الفُلْكَ مَوْجُهُ وَمِنْ دُونِنا الأَهْوالُ وَاللُّجَجُ الخُضْرُ
فَنَقْضِي هَمَّ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رِقْبَةٍ وَيُغْرِقُ مَنْ نَخْشَى نَمِيمَتَهُ البَحْرُ

ثم إن الحبيب يغار على حبيبته من جميع من يحيط بها، يغار عليها من أهلها، ويغار عليها حتى من طرفه، وقد يغار من زوجها إذا تزوجها بعد أن كان الحب يغلي في صدر حبيبها، كما حدث لذي الرمة مع حبيبته مَيّ. قال ذو الرمّة يصور غَيْرَته من زوجها[٢٧٦]:

لَئِنْ زُوِّجَتْ مَيٌّ خَسِيسًا[٢٧٧] لَطالَما بَغَى مُنْذِرٌ[٢٧٨] مَيًّا حَلِيلاً يُهِينُها
فَيا نَفْسُ ذِلِّي بَعْدَ مَيٍّ وَسَامِحِي فَقَدْ سَامَحَتْ مَيٌّ وَذَلَّ قَرِينُها
وَلَمَّا أَتَاني أَنَّ مَيًّا تَزَوَّجَتْ خَسِيسًا بَكَى سَهْلُ الرُّبا وَحُزُونُها

ومن الذين غاروا على حبيبتهم من طرفهم سعد بن مطرف من مجاشع. فقد كان يهوى ابنة عم له يقال لها سعاد. واتصف حبه بالطهر والبراءة. فكان يأتيها، ويتحدث إليها ولا يبوح لها بما في قلبه من حب، وتبلغ به الغَيْرَة أن يغار على طرفه إذا مال ورأى غيرها. فقال يصف حبه لها وغَيْرَته[٢٧٩]:

وَمَاعرَضَتْ لِيَ نَظْرَةٌ مُذْ عَرَفْتُهَا فَأَنْظُرَ إِلاَّ مُثِّلَتْ حَيْثُ أَنْظُرُ
أَغَارُ عَلَى طَرْفِي لَهَا فَكَأَنَّنِي إِذا رَامَ طَرْفِي غَيْرَها لَسْتُ أُبْصِرُ
وَأَحْذَرُ أَنْ تُصْغَى إِذا بُحْتُ بِالهَوَى فَأَكْتُمُهَا جَهْدِي هَوَايَ وَأَسْتُرُ

---

[٢٧٦] ذو الرمة: ديوان ذي الرمة، ج٣، ص١٧٩٢.

[٢٧٧] يقصد عاصمًا زوج مي، وهو من بني منقر. ويصفه بالخسيس

[٢٧٨] منذر اسم والد ميّ الذي زوجها لعاصم.

[٢٧٩] القالي: الأمالي، ج١، ص ٢١٥

www.mtenback.com

ويحترم الحبيب مشاعر حبيبته، فهو يريد أن يطمئنها إلى أنه لن يحب غيرها، ولن ينظر إلى أحد سواها، كما أن جلده لن يمس جلد غيرها. ويؤكد لها صدق قوله ومشاعره، ويدعو على نفسه بأن يصاب بمرض الشرى إذا مس جلده غيرها. ويعبر عن ذلك بقوله[٢٨٠]:

حَلَفْتُ يَمينًا يا بُثَيْنَةُ صادِقًا ... فَإِنْ كُنْتُ فِيها كاذِبًا فَعَمِيتُ

إِذا كَانَ جِلْدٌ غَيْرُ جِلْدِكِ مَسَّنِي ... وَبَاشَرَنِي دُونَ الشِّعارِ شَرِيتُ

ومع إساءة الحبيب للغَيور فإنه يكون كثير التسامح مع الحبيبة، فقد يسمع منها ما يكره فلا يثور ولا يتغير شعوره نحوها، ويجد لها الأعذار في كل ما تفعل، ويعلل كل أخطائها على أنها حدثت بسبب غَيْرَة الغَيور الذي يحمله المسؤولية في ذلك. قال كثير عزة[٢٨١]:

يُكَلِّفُها الغَيْرانُ شَتْمِي وَما بِها ... هَوَانِي وَلَكِنْ لِلْمَلِيكِ اسْتَذَلَّتِ

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ داءٍ مُخامِرٍ ... لِعَزَّةَ مِنْ أَعْراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

وقال أبو بكر بن دريد يعذر محبوبته على ما تفعله[٢٨٢]:

وَمَاتَرَكَتْ لِي مِن شَدًا أَهْتَدِي بِهِ ... وَلا ضِلَعٍ إلاَّ وَفِي عَظْمِها وَقْرُ

وَقَدْ تَرَكَتْنِي أَغْبَطُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى ... أَلِيفَيْنِ مِنْها لا يَرُوعُهُمَا الذُّعْرُ

وَيَمْنَعُنِي مِنْ بَعْضِ إِنكَارِ ظُلْمِها ... إِذا ظَلَمَتْ يَوْمًا وَ إِنْ كَانَ لِي عُذْرُ

مَخَافَةَ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ بَدا ... لِيَ الهَجْرُ مِنْها ما عَلى هَجْرِها صَبْرُ

---

[٢٨٠] جميل بثينة: ديوان جميل بثينة، ص ٣٤

[٢٨١] كثير عزة: ديوان كثير عزة، ص ٩٥، القالي: الأمالي، ج٢، ١٠٨

[٢٨٢] القالي: الأمالي،ج ١، ص ١٤٩.

www.mtenback.com

وَأَنِّي لا أَدْرِي إِذا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلى هَجْرِها ما يَبْلُغَنَّ بِي الهَجْرُ

وقد يصل الأمر بالحبيبة – لتطلع على مدى حب من تحب و غَيْرَته عليها – أن تتمارض وليس بها علة. ومما لاشك فيه أن مرضها يؤثر على حبيبها تأثيراً كبيراً، إلى درجة أنه قد يقضي عليه. ومع ذلك فإنه راضٍ بما تفعله، لأن المعنى البعيد لتمارضها، أنه خطر ببالها. يقول ابن الدمينة يصف ذلك(٢٨٣):

تَمَارَضْتِ كَيْ أَشْجَى وَما بِكِ عِلَّةٌ تُرِيْدِينَ قَتْلِي قَدْ رَضِيتُ بِذَلِكِ

لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتِنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ

وكذلك فإن الحبيبة تتأثر إذا تمارض حبيبها، وتدعو على نفسها بالثكل والموت إذا ضحكت سنها أو جفت دموعها أثناء إصابة حبيبها بعلة من العلل. وقد صور لنا أبو الحسين بن البراء موقف الحبيبة من مرض حبيبها فقال(٢٨٤):

وَتَضْحَكُ سِنِّي أَوْ تَجِفُّ مَدامِعِي وَأَصْبُو إِلى لَهْوٍ وَ أَنْتَ عَلِيلُ

ثَكِلْتُ إِذن نَفْسِي وَقَامَتْ قِيامَتِي وَغَالَتْ حَياتِي عِنْدَ ذَلِكِ غُولُ

ويرى كثير عزة أن الحبيبة تتعزز بالتمنع والصدود لتثير غَيْرَة حبيبها، فيقول(٢٨٥):

تَراهُنَّ إِلاَّ أَنْ يُؤَدِّينَ نَظْرَةً بِمُؤْخَرِ عَيْنٍ أَوْ يُقَلِّبْنَ مِعْصَما

كَواظِمَ لا يَنْطِقْنَ إِلا مَحُورَةً رَجِيعَةَ قَوْلٍ بَعْدَ أَنْ يُتَفَهَّما

يُحاذِرْنَ مِنِّي غَيْرَةً قَدْ عَلِمْنَها قَدِيمًا فَما يَضْحَكْنَ إِلاَّ تَبَسُّما

---

(٢٨٣) القالي: الأمالي، ج١، ص٣٠.

(٢٨٤) القالي: الأمالي، ج١، ص٨٥

(٢٨٥) كثر عزة: ديوان كثير عزة، ص١٣٦-١٣٧.

www.mtenback.com

ويصاب الغَيْوَر بالكثير من الأمراض والوساوس، ويتعجب جرير من الغَيْران وما يتحمله، فيقول[٢٨٦]:

عَجِبْتُ مِنَ الغَيْرانِ لَمَّا تَدَارَكَتْ جِمالٌ يُخَالِجْنَ البُرِينَ وَنُوقُ

وللشباب دوره في الحب. فإذا ولى الشباب لم يعد للحبيب ما كان له من السعادة والفتوة فيتأسف على ذهاب الشباب. وهذا الراعي النميري يأسف كغيره على شبابه، وعلى ما كان يفعله مع الغَيور من المغافلة أثناء شبابه، تلك المغافلة التي كادت توصله إلى ما يبغيه ويسوؤه حاضره لأنه لم يعد مثيراً للغَيْرَة بسبب كبر سنه، ومما يزيد في انزعاجه أن الغيور نفسه أخذ يطمئن إليه، ويأنس به، وذلك لأن شبابه ولى، ولم يعد يملك بواعث الإغراء. فقد انطفأت جاذبيته مع تقدم السن. فقال يصف وضعه الجديد مع الغَيْور[٢٨٧]:

وَقَدْ رَابَنِي أَنَّ الغَيورَ يَوَدُّنِي وَأَنَّ نَدَامايَ الكُهُولُ الجَحاجِحُ

يُناجِينَنا بِالطَّرْفِ دُونَ حَدِيثِنا وَيَقْضِينَ حَاجاتٍ وَهُنَّ مَوازِحُ

وأخيراً يمكن القول إن تأثير الحب واضح على المحبين من البنين والبنات، وقد يصل الأمر بهم إلى حالة مرضية تلجىء أهليهم إلى طلب العلاج لهم دون جدوى. وهم لا يدعون وسيلة إلا ويفعلونها، حتى إنهم يلجؤون إلى التمائم ولكنها لا تشفي. قالت ليلى الأخيلية تصف أهلها وما يفعلونه من أجل شفائها[٢٨٨]:

أَلَمْ تَرَ أَهْلِي يا مُغِيرُ كَأَنَّما يَفِيئُون باللَّوْماءِ فِيكَ الغَنائِما

وَلَوْ أَنَّ أَهْلِي يَعْلَمُون تَمِيمَةً مِنَ الحُبِّ تُشْفِي قَلَّدُونِي التَّمائِما

---

[٢٨٦] جرير: ديوان جرير، ح١، ص ٣٧٣. يخالجن: يحاذين. والبرين: جمع بُرة.

[٢٨٧] ابن تنباك: الغيور والصبور، ص٥٥.

[٢٨٨] القالي: الأمالي، ج٢، ص٨٧.

www.mtenback.com

الغَيْرَة بين الأقران:

تكثر الغَيْرَة بين الأقران، والأمثال، والإخوة وبني العم، والأصدقاء وسبب هذه الغَيْرَة توارد الأغراض على بعض المقاصد، والتزاحم على غرض واحد، فيثور التنافر والتباغض[٢٨٩] وتؤدي هذه الغَيْرَة إلى أن يفضل الأخ صديقه على أخيه، ونفسه على جميع أقاربه وأصدقائه، قيل لبعض قريش: أيما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال: أخي إذا كان صديقًا. وقال بعض الحكماء: البعيد قريب بمودته، والقريب بعيد بعداوته. وغلب على الأقارب منازعة التنافس، فصارت المنافسة عداوة، والقرابة بعدًا. وقال الكندي في بعض رسائله: الأب رب، والولد كمد، والأخ فخ، والعم غم، والخال وبال، والأقارب عقارب[٢٩٠]. وقال عبد الله بن المعتز[٢٩١]:

لُحُومُهُمْ لَحْمِي وَهُمْ يَأْكُلُونَهُ وما دَاهِيَاتُ المَرْءِ إلاَّ أَقارِبُهْ

وتتعدد وتتنوع الغَيْرَة بين الأقارب، فقد تكون غَيْرَة الإخوة من أخيهم الأصغر، وخاصة إذا خصه الوالدان بشيء دونهما. فيكون ما اختص به هذا الابن من دون إخوانه وبالاً على أسرته بكاملها، ومدعاة إلى تفرقها. كما أن هذه الغَيْرَة قد تكون من الأخ الأكبر لسيطرته وحصوله على ما يريد، أو تكون من غيره[٢٩٢] كما أنها قد تنشأ من الرغبة في الاستحواذ على حب الوالدين[٢٩٣].

---

[٢٨٩] المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة: مختصر منهاج القاصدين، مؤسسة الكتب الثقافية (١٤٠٨هـ) ص١٧٧، جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، ص ٤٢٢.

[٢٩٠] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص١٦٧-١٦٨.

[٢٩١] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص١٦٨. ولم أجد هذا البيت من الشعر في ديوان ابن المعتز.

[٢٩٢] جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، ص٤٢٤.

[٢٩٣] جاد المولى: الخلق الكامل، ح٤، ص٤٢٤، أروى إبراهيم: أطفئي نيران الغَيْرَة، ص٤٦.

www.mtenback.com

فعلى الآباء عدم إثارة الغَيْرَة بين أبنائهم بتمييز بعضهم بمعاملة خاصة على بعضهم الآخر، سواء أكانت مادية أم عاطفية. وعلى المربين ألا يدعو سبيلاً للعداوة بين تلاميذهم، وأن يؤلفوا قلوبهم حتى لا تجد الغَيْرَة إلى نفوسهم سبيلاً، وألا يغالوا في أن يخصوا واحدًا منهم بعناية خاصة تجعل له دالة على إخوانه أو أقرانه لأن ذلك يفسد أخلاقهم، ويجعلهم يغارون منه، ويلتمسون الأسباب للإيقاع به[٢٩٤].

أما الغَيْرَة بين أصحاب المهنة الواحدة، أو الغَيْرَة بين الأقران، فهي غَيْرَة تنافسية، تحدث بين شخصين أو أكثر، وإذا لم يتمكن أحدهم من اللحاق بالآخر، فإن غَيْرَته تتحول إلى حسد أحيانًا، و يتمنى أن يكون ما حصل عليه الآخر له[٢٩٥]، وقد يتمنى زوال النعمة عن منافسه.

وتكون الغَيْرَة بسبب فضيلة أو مرتبة عالية حصل عليها آخر، أو تفوق في عمله، أو قام بعمل جيد فاستحق عليه الشكر أو الارتقاء إلى منزلة أعلى، مع عجز الغيور عن متابعته، واللحاق به، وهذا من الحسد المذموم أيضًا.

وبعض هذا النوع من الغَيْرَة مفيد ومحمود إذا كان في حدود الاعتدال، لأنها تدفع بصاحبها إلى العمل والتطوير، وإلى اللحاق بالمتفوقين وتقليدهم، مما يعود بالفائدة على صاحبها وعلى المجتمع. ولكنها إذا تجاوزت حدها، وأصبحت غَيْرَة مفرطة جعلت أصحابها يقفون عائقًا في طريق المتفوق، فتصبح غير محمودة. وتصل إلى أرذل مراحلها وخاصة إذا أصبح الغيور شرسًا ومؤذيًا، يفرح إذا وصف له اضطراب أمور زملائه و إدبارهم، وتنغيص عيشهم. يحب الإدبار للآخرين غَيْرَة منهم، ويبخل بنعمة الله على عباده، كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه[٢٩٦]. ومن هذا

---

[٢٩٤] جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، ص ٤٢٧

[٢٩٥] المقدسي: مختصر منهاج القاصدين، ص ١٧٧

[٢٩٦] المقدسي: مختصر منهاج القاصدين، ص١٧٧؛ جاد المولى: الخلق الكامل، ج٤، ص ٤٢٢

www.mtenback.com

النوع من الغَيْرَة ما كان بين الزبرقان، وبغيض من بني أنف الناقة، تلك الغَيْرَة التي جعلتهما يتنافسان على جوار الحطيئة ليحصلا على مدحه[٢٩٧] ومنها أيضًا غَيْرَة رجال القبائل العربية من أوس بن حارثة الذي منحه الملك النعمان بن المنذر حلة مرصعة بالدر لم يروا مثلها قبلاً. وذلك بعد أن أذن للعرب في الدخول عليه، وكان فيهم أوس ابن حارثة. وكان النعمان يرتدي الحلة المرصعة بالدر، فجعلت العرب تنظر إليها، وكل منهم يقول لصاحبه: ما رأيت مثل هذه الحلة قط، ولا سمعت أن أحدًا من الملوك قدر على مثلها. وأوس بن حارثة مطرق لا ينظر إليها. فقال له النعمان: ما أرى كل من دخل عليّ إلا واستحسن هذه الحلة،وتحدث مع صاحبه فى أمرها إلا أنت ما رأيتك استحسنتها ولا نظرتها.

قال أوس: أسعد الله الملك. إنما تستحسن الحلة إذا كانت في يد التاجر، وأما إذا كانت على الملك، فنظري عليه لا عليها. فاسترجح عقله. فلما عزموا على الانصراف، قال لهم النعمان: اجتمعوا إليّ في غدٍ فإني سأهب هذه الحلة لسيد العرب منكم، فانصرفوا وكل منهم يرى أنها من نصيبه.

فلما أصبحوا تزينوا بأفخر الملابس، وركبوا أجود الخيل، وحضروا إلى النعمان، ولم يحضر أوس بن حارثة، وفقد النعمان أوسًا، فأرسل في طلبه، وقال له: احضر آمنًا مما خفت منه. فحضر بثيابه التي حضر بها بالأمس فقال له النعمان: إنّي لم أرك غيرت ثيابك في يومك، فالبس هذه الحلة لتتجمل بها. ثم خلعها وألبسه إياها.

واشتد إعطاء الحلة لأوس بن حارثة على الجلساء، وغاروا منه غَيْرَة شديدة، لأن النعمان جعله سيدًا للعرب، وأخذوا يحطون من شأنه. وجمعوا من بينهم خمسمائة ناقة لإعطائها للشاعر الذي يحط من مكانة أوس. فأتوا بالحطيئة وطلبوا منه أن يفعل، فرفض وقال لهم: كيف أهجو رجلاً حسيبًا لا ينكر بيته، كريمًا لا ينقطع عطاؤه،

---

[٢٩٧] جاد المولى: قصص العرب، ج١، ص ١٩٨-٢٠٠.

www.mtenback.com

فيصلاً لا يطعن على رأيه، شجاعًا لا يضام نزيله، وهجاه بشر بن أبـــي خـــازم[٢٩٨]. ولكن ما فعلوه لم يؤد إلى الحط من شأنه، بل علت مكانته بحسن تصرفه مع هاجيـــه، وبذلك فإن غيرتهم من أوس بن حارثة لم تؤد إلى النتيجة المرجوة عـــلى الرغـــم مـــن كل ما فعلوه، بل رفعت من شأنه[٢٩٩].

وتبدت الغَيْرَة بين الأقران مما ظهر من قبل أقران عنترة بن شداد مـــن قومـــه وغيرهم، الذين غاروا من شجاعته وحاولوا اللحاق به فلم يستطيعوا، ولذلك فـــإنهم أخذوا يعيرونه بأمه ولونه، ويسعون عليه، ولكنهم لم ينالوا منه وعادوا خائبين، قـــال عنترة بن شداد يصف ذلك[٣٠٠]:

سَمَوْتُ إِلَى العُـــلا وَعَلَـــوْتُ حَتّـــى ... رَأَيْتُ النَّجْمَ تَحْتِـــي وَهْـــوَ يَجْـــرِي

وَقَوْمًـــا آخَرِيـــنَ سَـــعَوا وَعَـــادُوا ... حَيَـــارَى مـــا رَأَوْا أَثَـــرًا لأَثَـــرِي

وتبلغ هذه الغَيْرَة غاية السوء حين يعمل صاحبها على الإيقاع بأنداده للتخلص منهم، والقصص حول ذلك كثيرة، منها الغَيْرَة التي كانت بين النابغة الذبياني والمنخـــل اليشكري، والتي دفعت بالأخير إلى اتهام النابغة عند الملك النعمان بأنه على علاقة مـــع زوجة النعمان، مستغلاً القصيدة التي أنشدها النابغة، ووصف فيها زوجـــة النعمـــان المتجردة وصفًا دقيقًا. فقال المنخل للنعمان لا يمكن أن يكون هذا الوصـــف إلا لمـــن جرب، فأثار غَيْرَة النعمان، وكادت هذه الغَيْرَة تودي بحياة النابغة، لولا أنه تنبه للأمـــر وفر إلى الغساسنة [٣٠١].

---

[٢٩٨] جاد المولى: قصص العرب، ج١، ص١٧٦.

[٢٩٩] جاد المولى: قصص العرب، ج١، ص١٧٦-١٧٧.

[٣٠٠] عنترة بن شداد: شرح ديوان عنترة بن شداد، ص٩٤

[٣٠١] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، ص٢٧٢.

www.mtenback.com

وهناك غَيْرَة على المكانة الاجتماعية، ومبعثها الأنفة، والإباء،ورفض الهوان، وإنكار الضيم، والإصرار على التمتع بنعم الحرية. وممن يمثل هذا النوع من الغَيْرَة، الشاعر عمرو بن كلثوم الذي غضب على ملك الحيرة عمرو بن هند لأنه أراد أن يحط من شأنه بجعل أمه تخدم في بيته، فقتل عمرو بن هند وأنشد قائلاً[٣٠٢]:

أَبَا هِنْدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا

بِأَنَّا نُوردُ الرَّايَاتِ بِيضًا ... وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

وَأَيَّامٌ لَنَا غُرٌّ طِوَالٌ ... عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ... نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا

فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعْيَتْ ... عَلَى الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

وقد تكون الغَيْرَة مبعثها الغنى والثروة، فيغار من لا يملكها ممن يملكها، ويحاول الوصول إلى ما وصل غيره إليه، ويعمل على الحصول عليها بطرق غير مشروعة، فيوصله ذلك إلى المهالك. وقد يكره الأغنياء ويحسدهم. وعليه أن يعلم أن المال شيء، والسعادة شيء آخر وأنها لا تتوقف على المال. فكثير ممن لا يملك المال يعيش سعيداً، وكم من غني لا يعرف طعم السعادة[٣٠٣].

بعد استعراضنا لموضوع الغَيرة ، اتضح لنا أن الغَيْرَة من الأخلاق العربية التي سادت في الجاهلية. وكانت في الغالب غَيْرَة مفرطة، ووصلت إلى ما يمكن أن نسميه

---

[٣٠٢] التبريزي، يحيي بن علي، شرح القصائد العشر تحقيق: فخر الدين قباوة، حلب، ط٢ (١٩٧٢) ص٣٤٥، أبو زيد: جمهرة أشعار العرب، ج١، ص ٣٩٥-٣٩٦، الشعيبي، علي شواخ إسحاق: ملامح اجتماعية في الشعر الجاهلي والإسلامي، الرياض، دار الرفاعي، ط ١ (١٩٨٦م) ص٥٨.

[٣٠٣] أروى إبراهيم: أطفئي نيران الغَيْرَة، ص ٤٦.

www.mtenback.com

الغَيْرة المرضية، ذلك لأنها لم تكن مبنية على أسس سليمة، وكثيراً ما أدت إلى نتائج عكسية. فالغَيْرَة بين الزوجين كانت تؤدي إلى هدم حياة الزوجة دون بينة، والغَيْرَة عصبية كثيراً ما أدت إلى حروب بين القبائل ذهبت بالغالي والنفيس، وشغلت العرب عن أمور كان الأولى الاهتمام بها.

وحين جاء الإسلام عمل على تهذيب هذه الغَيْرَة وجعلها في حدود الريبة، لا في حدود الشك. والتزم عدد كبير من العرب المسلمين بذلك، إلا أن بعضهم الآخر، بقيت لديه موروثات الجاهلية. واستمر يحمل في نفسه الغَيْرَة المفرطة التي كان الأولى به التخلص منها، لأنها من الأمراض التي يتطلب الشفاء منها، والتي أدت وما زالت تؤدي إلى هدم الأسر وتشتيت الأبناء، والفوضى في الحياة.

ولا تنحصر الغَيْرَة على أفراد الأسرة، فهي أوسع من ذلك بكثير، ومجالاتها متعددة، فهناك الغيرة على المصالح والحقائق، وعلى الحرمات، وعلى الدين وغيرها وهذه الأنواع من الغَيْرَة ضرورية في عصرنا، خاصة وأننا نرى أنها أصبحت نادرة، وكأنها في طريقها إلى الزوال، حتى تكاد تكون كالموظف المعزول الذي لم يعد يظهر في ديوان عمله ، بعد أن كانت معنى مشرقاً في صدور الناس. والتي نأمل أن يعمل أفراد المجتمع على التحلي بها خدمة للوطن والمجتمع، وللنهوض بهما، والوصول إلى ما نصبو إليه.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
النحل	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ.. الآية﴾	٥٨	٧١
يوسف	﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ.. الآية﴾	٩،٨،٧	٨٠
المائدة	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا... الآية﴾	٢٧	٨٠
التكوير	﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ... الآية﴾	٨، ٩	٧٠
النور	﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء.. الآية﴾	٧،٦	٩
	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ... الآية﴾	٤	٤٧
التحريم	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ... الآية﴾	١	٦١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه....»	٤٧
«إذا جاءكم من ترضون دينه....»	٧٣
«أدعو الله عز وجل فيذهب غيرتك....»	٦٤
«إني لأعلم إذا كنت راضية، وإذا كنت على غضبي...»	٦٣
«أنا أكبر منك...»	٦٤
«إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوا...»	٦٥
«إن الله كتب الغيرة على النساء...»	٤٢
«إن من الغيرة غيرة يبغضها الله...»	٩
«حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي....»	٦٥
«غارت أمكم...»	٦١
«كانت تأتينا وتزورنا أيام خديجة....»	٦٢
«ما أبدلني خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس...»	٦٢
«من قتل دون أهله فهو شهيد...»	٤٢
«هل لك من إبل ؟ ما ألوانها ؟ أفيها أورق ؟»	٥٥
«هم إلى الله ورسوله...»	٦٤
«يا معشر الأنصار ألا تسمعون إلى ما يقول سيدكم...»	٤٧

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ء ـ		
وخيرنا	الفداء	عمرو بن الحارث	٣	٣٢
وأنكاس	النساء	بشر بن أبي خازم	١	٢٨
أنا والله	النساء	غسان بن جهضم	٣	٤٩
تمارأتم	النساء	خداش بن زهير	١	٥٩
		ـ ب ـ		
أعليّ	شراب	ثعلب	٢	٨٥
معاذ	كعب	مالك بن أبي كعب الأوسي	٢	٣١
حليلة	هارب	كثير عزة	٢	٥٦
		ـ ت ـ		
يكلفها	استذلت	كثير عزة	٢	٩١
لقد أعجبتني	تلفت	الشنفرى	٢	٤٦
سميتها	زميت	–	١	٧١
حلت	فالحلة	سلمى بن ربيعة	٧	٥١
فاحموا	فحلت	الأعشى	٢	٦٨
حلفت	فعميت	جميل بثينة	٢	٩١
وإن تعط	مقسمات	أبو العلاء المعري	٢	٧٨
		ـ ج ـ		
تقول	تمتزج	عبد الله بن المعتز	٢	٨٥
من سد	الحجاج	جرير	٢	٣٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		— ج —		
إن يك	الحجج	بشار بن برد	٣	١٧
		— ح —		
عمدت	أنجح	جران العود	٢	٦١
كأن	تنضح	بشار بن برد	٣	٨٩
وقد رابني	الجحاجح	الراعي النميري	٢	٩٣
وضيعتم	المسيح	جرير	١	٢٩
خذا	يصلح	جران العود	١	٦١
		— د —		
إن له	أنجادا	زوج الحارث بن عباد	٢	٥٥
لما رأيت	شدّا	عمرو بن معد يكرب	٣	٣٥
حتى	العدد	بشار بن برد	٣	١٨
رأيت	فسد	محمود الوراق	٢	٨٠
		— ر —		
يوم	أبكار	الأخطل	١	٢٥
عجبت	أخسر	عقيل بن علفة	٣	٧٨
فلا تأمنوا	الأصاغر	جران العود	٢	٥٣
وما عرضت	أنظر	سعد بن مطرف	٣	٩٠
ولكن سمعن	بالضرائر	جران العود	١	٢٣
نحن حمينا	تبتقر	أحد اللهازم	٢	٣٦
وإني	تذر	مسكين الدارمي	٤	٢١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ألا أيها	تفر	مسكين الدارمي	٢	٢٠
فهلا	تغارا	الفرزدق	٢	٢٧
تغار	النظر	مسكين الدارمي	١	١٢
إنا لنرجع	الجبار	جرير	٢	٢٩
كأن	الحذار	بشار بن برد	٢	٨٦
كل أنثى	خيتعور	حجر بن عمرو	٢	١٠
لقد ذعرنا	الذعر	عمر بن لجأ	١	٢٣
ولقد علمت	ذعور	سراقة البارقي	٢	٨٥
فما منعتم	صبروا	جرير	١	٢٦
لكل أب	الصبر	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	٢	٧٨
عامر	المعمور	بشار بن برد	٤	١٦
إني وإن	عشر	عقيل بن علفة	١	٧٣
ودعت	غيور	جرير	١	٢٦
أتنسى	قراقر	سبرة الفقعسي	٢	٢٨
خذ	الكدر	منصور الفقيه	٢	١٩
منع	مبكار	الفرزدق	٢	٣٧
ما زال	مغيار	جرير	١	٣٤
وإذا النساء	نغار	جرير	٢	٣٤
يعاف	النورا	السليك بن السلكة	١	٤٦
تمنيت	وفر	أبو السائب	٣	٨٩
وما تركت	وقر	أبو بكر بن دريد	٥	٩١
لا تنفع	المفاوزا	ابن بري	١	٤٦

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ س ـ		
نغار	جامس	ذو الرمة	١	٣٥
قطعت	الدردبيس	–	١	٤٥
		ـ ض ـ		
لولا	بعض	حطان بن المعلى	٤	٦٥
		ـ ط ـ		
سائل	الخلط	الحارث بن وعلة الجرمي	٣	٣٩
		ـ ع ـ		
إذا الحرب	الجموع	بشر بن أبي خازم	٣	٣٧
بنات	روادعا	عدي بن زيد	١	٤٣
وفينا رسول	ساطع	عبد الله بن رواحة	٣	٤٤
وكم من	القناع	بشر بن أبي خازم	٢	٢٨
ولم تمنعوا	مانع	الفرزدق	٢	٢٤
وعائرة	مجزع	مجمع	٤	٣٠
فجئن	المدارع	الفرزدق	٢	٢٥
ومغيرة	مقنع	عنترة بن شداد	٢	٣٨
		ـ ف ـ		
وللعين	الطرائف	–	١	٥٣
		ـ ك ـ		
تمارضت	بذلك	ابن الدفينة	٢	٩٢
إذا غاب	المبارك	ذو الرمة	٢	٨٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
كنا بني	كمالك	عقيل بن علفة	٢	٧٤
		ـ ل ـ		
وصرنا	إذلال	امرؤ القيس	٣	١٩
ورأت	الأنفالا	جرير	١	٣٢
ظل اللهازم	بالأبوال	جرير	٣	٢٧
فأصبحت	البال	امرؤ القيس	١	٨٥
فقالت	تطيل	جميل بثينة	٢	٨٤
فغرنا	الحجال	مسكين الدارمي	١	٣٥
وإذا الأمور	الزلزال	عنترة بن شداد	٣	٣٩
ونحن غيارى	عبلا	كثير عزة	٣	٣٤
وتضحك	عليل	أبو الحسن بن البراء	٢	٩٢
ترك	عويل	جرير	١	٢٥
تركت	عويل	–	٣	٤٠
قيس	فضول	جرير	٢	٢٥
قفي	قبل	علفة بن عقيل	٣	٧٦
لقد هزئت	قبلي	عقيل بن علفة	٢	٧٤
تمام	القسطل	حسينة بنت جابر	٢	٣٢
إني لأمنحك	لأميل	–	١	٦٣
والمانعون	لا ترحل	الفرزدق	٢	٣٧
إن النساء	مأكول	طفيل الغنوي	٣	٤٩
وأكرم	مالي	الأعور الشني	٢	٣٦
ولن تصادف	مأكولى	–	١	٤٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
لما سمعت	محلل	عنترة بن شداد	٢	٣٨
ألا يحبس	مختال	امرؤ القيس	١	٥٣
فخير	يالا	زهير بن مسعود الضبي	٢	٣٣
		— م —		
وأفلتنا	استقاما	عامر بن الطفيل	١	٣٣
إذا غاب	الأشائم	ذو الرمة	٢	١٨
حبك	أعظمي	عقيل بن علفة	٤	٧٢
قضت	بالجماجم	عقيل بن علفة	١	٧٥
شددنا	تتبسم	عمرو بن الخثارم	٢	٣٩
تقول	تسلم	أبو خراش الهذلي	٣	٣٥
ياقوم	جمعا	لقيط بن يعمر	١	٦٧
ألا إن	حما	العجلاني	٢	٤٨
وسوق	خنعما	عبد الله بن الزبير الأسدي	١	٢٣
ولم يحموا	الخداما	جرير	١	٢٦
حسدوا	خصوم	أبو الأسود الدؤلي	٣	٥٨
لولا أميمة	الظلم	إسحاق بن خلف البهراني	٥	٦٨
فأصبحن	العمائم	علفة بن عقيل	١	٧٥
ألم تر	الغنائما	ليلى الأخيلية	٢	٩٣
صرفت	قراما	سراقة البارقي	٢	٧٩
كأن الكرى	القوائم	الجرباء بنت عقيل	١	٧٥
ألا أبلغا	كريم	علفة بن عقيل	٦	٧٦
يهينون	المسيما	ربيعة بن مقروم	٢	٣٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
المانعين	المغروم	جرير	١	٣٨
تراهن	معصما	كثير عزة	٣	٩٢
ياشقة	منسجم	إسحاق بن خلف	٤	٦٩
نهيت	هيثم	القتال بن عبد الله بن المفرحي	٢	٨٢
	ـــ ن ـــ			
تزوجت	اثنتين	أعرابي	٨	٥٩
لا يأمنن	أمين	—	٢	٥٧
قفي	الأمينا	عمرو بن كلثوم	٤	٨٨
وكيف يداويني	بيان	الأخطل	٢	٥٧
إذا أصبحت	تحذريني	الشنفرى	٥	١٣
يقتن	تمنعونا	عمرو بن كلثوم	٢	٣١
طال	جيرون	عبد الرحمن بن حسان	١	١٦
ما أحسن الغيرة	حين	مسكين الدارمي	٥	٢٠
وإذا ما	دون	عبد الرحمن بن حسان	١	١٧
ولذاك	الظنون	عبد الرحمن بن حسان	١	١٦
تركوا	مدران	الأخطل	٣	٢٩
ثم خاصرتها	مسنون	عبد الرحمن بن حسان	١	١٧
	ـــ هـ ـــ			
ويارب	أعالجه	عبد الله بن المعتز	١	٨٤
لحومهم	أقاربه	عبد الله بن المعتز	١	٩٤
فتن	إليها	—	٥	٥٠
أخبريني	أم عقبة	غسان بن جهضم	٣	٤٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
تسديتها	ايقادها	الأعشى	٢	٨٧
ولا يمنعون	بأظفارها	الفرزدق	١	٢٧
ولقد غبنت	تخبابها	الأعشى	٣	٨٨
وإني لأخلي	تضيعها	-	٢	١٢
إذا ذكرت	ثؤورها	الفرزدق	٣	٣٣
وإني	رجومها	جرير	٢	٨٤
وجدنا	الرماة	جرير	١	٢٥
أفلم تكن	صرامها	لبيد بن ربيعة	٢	٢٢
تذم	ضجيعها	البحتري	٢	٣١
بني عامر	عجوبها	بشر بن أبي خازم	١	٢٨
قد سمعت	عقبة	زوج غسان بن جهضم	٣	٤٨
فلو غرتم	عونها	عمر بن لجا	١	٢٣
لهن	غارها	أبو ذؤيب الهذلي	١	٥٨
وإن لجيماً	قديمها	خريب بن الحرب	٢	٦٨
فظللت	لها	الأعشى	٣	٨٧
أريتك	مرابعه	مالك بن الصمصامة	٤	٨١
لقد جردت	مهورها	جرير	١	٢٦
ويوم	نحورها	قيس بن عاصم	٢	٢٤
من فر	نديمه	يزيد بن حنظلة	٣	٦٧
دع السيد	نسائها	الأخضر بن هبيرة	١	٣٦
وإنا منعنا	نساءها	قيس بن الخطيم	١	٣٦
إذا ما خليل	وداعها	مسكين الدارمي	٢	١٢

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ولست	وقودها	كثير عزة	١	٨٣
لها بعل	يحجبها	عبيد الله بن قيس الرقيات	٢	٥٤
ذو نيفة	يحرسها	الأعشى	٣	٨٣
لئن زوجت	يهينها	ذو الرمة	٣	٩٠
— ي —				
لا تمشطي	أخبريني	الحارث بن عباد	٢	٥٥
أفاطم	انطلاقيا	أبو الأسود الدؤلي	١	٤٥
فقالت	أهلي	عمر بن أبي ربيعة	٢	٨٦
إن بني	أوعدوني	جميل بثينة	٢	٥٦
لعمرك	التقالي	زهير بن أبي سلمى	٣	٦٠
وإني امرؤ	شبرا	مسكين الدارمي	٦	١١
ونحن	غواشيا	عنترة بن شداد	٤	٣٨
ولو أن	قتلي	جميل بن معمر	٢	٨٩
أتاني	لسانيا	جميل بن معمر	٢	١٧
تجاوزت	مقتلي	امرؤ القيس	١	٨٥
لا تخونيني	تعاني	ابن المعتز	٢	٤٨
فقد شف	النواصيا	أعرابية	٢	٨٦
سموت	يجري	عنترة بن شداد	٢	٩٧
أبا هند	اليقينا	عمرو بن كلثوم	٦	٩٨

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«إذا الأمة وضعت الغيرة في رجالها، وضعت الصيانة »	٤١
«أَغْيَر من جمل»	٦٨
«أَغْيَر من عقيل»	٦٨
«أغير من الفحل»	٦٨
«إن الغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه»	٦٤
«البعيد قريب بمودته، والقريب بعيد بعداوته »	٩٤
«كل شيء مهه ...»	٨
«لا تكثرَ الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك »	١٩
«خير الرجال الذي يكرم الحرة ولا يجمع الضرة »	٤٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

إبراهيم، أروى:

أطفئي نيران الغيرة، مجلة الجميلة «مجلة المرأة العربية»، العدد١١٨، ١٧ مايو ١٩٩٩م.

ابن الأثير، علي بن محمد:

أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة، المطبعة الوهبية (١٢٨٠هـ).

الكامل في التاريخ، بيروت، دار بيروت ودار صادر (١٩٦٥م).

أحمد، مهدي رزق الله:

السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة، الرياض، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ط١ (١٤١٢هـ).

الأخطل، غياث بن غوث:

ديوان الأخطل، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢ (١٩٩٤م).

أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو:

ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة أبي سعيد السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد (١٩٦٥م).

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:

الأغاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (د.ت).

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، بيروت، مؤسسة الرسالة ط٧، ١٩٨٣م.

www.mtenback.com

امرؤ القيس بن حجر:

ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م.

أوس بن حجر:

ديوان أوس بن حجر، تحقيق: رودلف جبير، د. م. ط، ١٩٨٢م.

البارقي، سراقة بن مرداس الأصغر:

ديوان سراقة البارقي، تحقيق: حسين نصار، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٤٧م.

بشار بن برد العقيلي:

ديوان بشار بن برد، تصحيح: محمد رفعت فتح الله وزميليه، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٧م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر:

خزانة الأدب، القاهرة، مطبعة دار العصور «د.ت».

بيطار، أمينة:

دراسات في تاريخ الخلافة العباسية (١٣٢-٢٣٢هـ)، الرياض، دار القلم والكتاب، ط١، ١٩٩٧م.

التبريزي، يحيى بن علي:

شرح القصائد العشر، تحقيق: فخر الدين قباوة، حلب، ط٢، ١٩٧٢م.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

ديوان الحماسة، طبع مصر، ١٣٥٢هـ.

ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان:

الغيور والصبور، د.م. ط. ت.

www.mtenback.com

التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد:

الإمتاع والمؤانسة، صححه أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد:

اللطائف والظرائف، القاهرة، المطبعة الوهبية، ١٢٦٩هـ.

الجاحظ، عمرو بن بحر:

الحيوان، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، ط٢، د.ت.

جاد المولى، محمد أحمد:

- أيام العرب في الجاهلية، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت.
- الخلق الكامل، بيروت، مؤسسة الرسالة ودار قتيبة، د.ت.
- قصص العرب، القاهرة، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، طبعة جديدة، ١٩٧١م.

جرير، بن عطية الكلبي:

ديوان جرير بشرح: محمد حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

جميل بثينة، جميل بن معمر العذري:

ديوان جميل بثينة، شرحه: أحمد عدرة، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٦م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي:

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.

www.mtenback.com

الجوهري، إسماعيل بن حماد:

الصحاح أوتاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطـــار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٩م.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي:

- الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، ١٣٥٨هـــ.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

حسين، محمد الخضر:

الغيرة على الحقائق والمصالح، مجلة نور الإسلام، العـــدد الســـابع، ج١، رجب، ١٣٤٩هـــ.

حفني، عبد الحليم:

شعر الصعاليك وخصائصه، القاهرة، الهيئة المصريـــة العامـــة للكتـــاب، ١٩٨٧م.

ابن حنبل، أحمد محمد:

المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار نهضة مصـــر للطباعـــة والنشر، ط٣، ١٩٧٢م.

الحوفي، أحمد محمد:

- الغزل في العصر الجاهلي، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشـــر، ط٣، ١٩٧٣م.

- المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة، دار نهضة مصر للطبـــع والنشـــر، ط٣، ١٩٨٠م.

ابن أبي خازم، بشر:

ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حسن، دمشق، وزارة الثقافة، ط٢ ١٩٧٢م.

www.mtenback.com

ابن الخطيم، قيس بن الخطيم بن عدي:

ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكيت وغيره، تحقيق: ناصر الدين الأسد، بيروت، دار صادر، ط٢، ١٩٦٧م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:

- مقدمة ابن خلدون، بيروت، منشورات الأعلي «١٩٧١م».

- ديوان الهذليين، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٦٥م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد:

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات «٦١-٨٠هـ»، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٨٧م.

- سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين الأسد، إشراف شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت.

ذو الرمة، غيلان بن عقبة:

ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، بيروت، مؤسسة الإيمان، ط٢، ١٩٨٢م.

الرقي، ربيعة بن ثابت:

شعر ربيعة الرقي، جمعه وحققه: يوسف حسين بكاد، بغداد، دار الحرية للطباعة، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٠م.

زهير بن أبي سلمى المزني:

ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح: ثعلب، القاهرة، دار الكتب، ١٩٤٤م.

www.mtenback.com

أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس:

النوادر في اللغة، صححه: سعيد الخوري الشرتوني، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب:

جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: محمد علي الهاشمي، المملكة العربية السعودية، لجنة البحوث والتأليف والنشر، «١٩٨١م».

الشرباصي، أحمد:

موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، ط١، ١٩٨١م.

الشعيبي، علي شواخ إسحاق:

ملامح إجتماعية في الشعر الجاهلي والإسلامي، الرياض، دار الرفاعي، ط١، ١٩٨٦م.

الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلى:

- أمثال العرب، القسطنطينية، مطبعة الجوائب «١٣٠٠هـ».
- ديوان المفضليات مع شرح وافر لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، عني بطبعة كارلوس يعقوب لايل، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٢٠م.

ضيف، شوقي:

تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، ط٨، د.ت.

الطائي، حاتم بن عبد الله:

ديوان حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعه: يحيى بن مدرك الطائي ورواية: هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة، مطبعة المدني، د. ت.

www.mtenback.com

الطبري، محمد بن جرير:

تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٤م.

طفيل الغنوي:

ديوان طفيل الغنوي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٦٨م.

طلس، محمد أسعد:

تاريخ العرب، بيروت، دار الأندلس، ط٢، ١٩٧٩م.

عامر بن الطفيل:

ديوان عامر بن الطفيل العامري، رواية ابن الأنباري عن ثعلب، تحقيق: ليال، كمبردج، ١٩١٩م.

ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله:

بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد:

العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، بيروت، دار الفكر، د.ت.

عبد الله بن الزبير الأسدي:

شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٤م.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى:

كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق، اعتناء المستشرق بيفان، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٥م.

www.mtenback.com

عفيفي، عبد الله:

المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د.ت.

علقمة الفحل، علقمة بن عبدة بن شاهرة:

علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري، ويليه جملة ما لم يذكر من شعره في هذا الشرح، حققه: لطفي الصقال ودرية الخطيب، حلب، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٦٩م.

علي، جواد:

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت.

عمر بن لجأ التيمي:

ديوان عمر بن لجأ التيمي، تحقيق وجمع: يحيى الجبوري، الكويت، دار القلم، ط٢، ١٤٠١هـ.

عنترة بن شداد:

- شرح ديوان عنترة بن شداد، قدم له وعلق حواشيه: سيف الدين الكاتب، وأحمد عصام الكاتب، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، د.ت.

- ديوان عنترة بن شداد، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد:

إحياء علوم الدين، القاهرة، مطبعة الاستقامة، د.ت.

الفرزدق، همام بن غالب:

ديوان الفرزدق، بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٦م.

www.mtenback.com

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم:

الأمالي «د.م. ط. ت».

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

- الشعر والشعراء، حقق نصوصه وعلق على حواشيه: عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٩٩٧م.

- عيون الأخبار، شرح وتعليق: مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العربية، د.ت.

القسطلاني، أحمد بن محمد:

إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري، القاهرة، طبعة بولاق، د.ت.

القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي:

زهر الآداب وثمر الألباب، شرح: زكي مبارك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط٤، د.ت.

ابن قيم الجوزية، أبوعبد الله محمد بن أبي بكر:

- أخبار النساء، القاهرة، مطبعة التقدم العلمية، ط١، ١٣١٩هـ.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، د.ط. م.ت.

كثير عزة، كثيرة بن عبد الرحمن:

ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧١م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد:

- أدب الدنيا والدين شرح وتعليق: محمد كريم راجح، بيروت، دار اقرأ، ط٣، ١٩٨٤م.

- الأحكام السلطانية، طبعة مصر، ١٢٩٨هـ.

www.mtenback.com

المرتضى، علي بن الحسين الموسوي:

أمالي المرتضى، أو غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

المرزباني، أبو عبيدة الله محمد بن عمران:

أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي، بغداد، دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٦م.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد:

شرح ديوان الحماسة، نشر أحمد أمين، وعبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة اتأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٦٨م.

مسكين الدرامي، ربيعة بن عامر:

ديوان مسكين الدارمي، جمعه وحققه عبد الله الجبوري وآخرون، بغداد، نقابة المعلمين المركزية، ١٩٧٠م.

ابن المعتز، عبد الله بن محمد:

- ديوان ابن المعتز، دار بيروت للطباعة والنشر (د.ت).
- المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم أنيس وزملاؤه، طبع مجمع اللغة العربية، ط٢، ١٩٧٣م.

معلوف، لويس:

المنجد، بيروت، المطبعة الكاثولكية، ط ١٣، د.ت.

المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة:

مختصر منهاج القاصدين، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي:

لسان العرب، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، ونديم مرعشلي، بيروت، دار لسان العرب، ١٩٧٠م.

www.mtenback.com

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الجيل (د.ت).

الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري:

كتاب التمكين في شرح منازل السائرين، كتبه أبو الفيض المنوفي الحسيني، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com